بسم الله الرحمن الرحیم

ثورة أُمّ وثورة شعاع

آية الله

الشيخ عيسى أحمد قاسم

■ **ثورة أُمّ وثورة شعاع**

تاليف: آيه الله الشيخ عيسى أحمد قاسم

الموضوع: كلام

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

صف الحروف والإخراج الفني: قاسم البغدادي

الطبعة: الأولى

المطبعة: مجاب

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر:

ردمك:

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

info@ahl-ul-bayt. Org
www. ahl-ul-bayt. Org

أهل البيت عليهم السلام

في القرآن الكريم

إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا

سورة الأحزاب/ آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام
في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين
أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود
من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما
لن يفترقا حتى يردا علي الحوض

مسند أحمد ٣ : ١٤ و ١٨ (ما أسند عن أبي سعيد)
سنن الترمذي ٥: ٣٢٩ / ح ٨٣٧٦
المستدرك للحاكم ٣ : ١٠٩ و ١٤٨.
فضائل الصحابة للنسائي: ١٥ (باب فضائل عليّ عليه السلام)
المعجم الأوسط للطبراني ٣ : ٣٧٤

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية.

وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأُمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ منطلقاً من مسؤولياته الّتي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها الّتي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة الّتي حرصت في الردّ على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب الّتي تختزّنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها ؛ لأنّها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى

والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدم لطلاّب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات الّتي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ، أو من الذين أنعم الله عليهم بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحقّ، لتنفتح على الحقائق الّتي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ونتقدَم بالشكر الجزيل لسماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم لتأليفه هذا الكتاب والأخ حسين الصالحي لمراجعته الكتاب.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المعاونيّة الثقافية

المدخل

أطرح ابتداءً بعض النقاط المدخلية أمام يدي البحث الذي تستوعبه محاور محدَّدة.

ما هي الثورة؟

الثورة: حركة إنسانية متقدمة ذات تميز نوعي يخالف نوعَ مألوف فكري أو ديني أو اجتماعي مثلاً، أو ما هو أعم وتعصف به، وهي تفجُّر هائل في بعد أو أكثر من أبعاد الذات الإنسانية الخيرة يفجر جمود الأوضاع في الخارج وعند الآخرين؛ ليحلّ بديلاً إيجابياً ويدفع بحركة الحياة قدماً ويفتح لها آفاقاً جديدة ثرَّة واسعة.

فالثورة قد تكون فكرية تحطم جدران الفكر، وتُطلقُه من زنزانة الجمود والتحجر ليدخل عملية انتاج وابداع ضخمة، وتجارب حيَّة جديدة، وآفاقاً من الآفاق البكر بمنهجية عمليَّة صارمة، ورؤية دقيقة متحررة، ليأتي أكبر مما كان وأجود وأبصر، ويكون المبدع الخلاّق المتبحر، الغواص المحلق المجدّد المخصب.

وقد تكون نفسيّة تحرر النفس البشرية من مخاوفها الوهمية، وتبعثر قوقعة يأسها وقنوطها، وتطرد عنها الشعور بالانهزامية والتقزم أمام الأحداث والاخطار التي تقع على طريق الفعل الصاعد، لتعانق الطموحاتِ الكبيرة والأهداف الضخمة متحملة مسؤولية الطريق، مستسيغة متاعب الدرب المحفوف بالمشاكل.

وقد تكون اجتماعية تكتسح العلاقات الظالمة فتحوّل الأعالي أسافل والأسافل أعالي كما ينبغي أن يكون، لتكون من هذا بدايةُ التغيير الإيجابي الكبير والتحوّل الشامل في موازين العلاقات الاجتماعية من أصغر دائرة إلى أكبر دائرة في عالم النفس والاجتماع، وتندفع مسيرة هذه العلاقات في الطريق الصائب والخط الصاعد.

وقد تكون الثورة روحية تكسّر كل حواجز الطين في الوجود الإنساني، وتدوس الآمال والهواجس الأرضيّة المحدودة لتنطلق في حركة محلّقة بعيداً عالياً لا يوقفها شيء، ليجد هذا الوجود نفسه واقعاً أكبر من المكان والزمان في شعور غني دائم حيّ حاضر فاعل مفعم بالتعلق والتدلي والشعاعية للجمال المطلق والكمال اللامحدود.

وهي لا تكون ـ هذه الثورة الأخيرة ـ إلاّ بأن تكون الثورةَ الشاملة العميقة في كل أبعاد الذات الإنسانية الراقية، والحركة الهائلة في نفخة الروح القدسية في وجود الإنسان بكل حيثياتها الفاعلة؛ وعندئذ تندفع الذات الإنسانية والحياة بكل أبعادهما في حركة عرضية عامَّة قوية جادَّة صاعدة إلى الله متخلّقة بأخلاقه، مهتدية بهدى أسمائه، متسارعة في أشواطها إلى رضاه.

وهناك ما يسمّى بحركات سياسيّة وانقلابات عسكرية مما لا يستهدف إلاّ طلب المنصب، والقفز على كرسي الحكم، أو التكبيل لحركة الحياة وحرفها عن المسار؛ فهذه أحداث دونية صغيرة، أو حركات عدوانية جائرة.

مقوّمات الثورة: ركنان لابد منهما في كل ثورة؛ قضيّة في رجل، ورجل حقيقته قضيَّة؛ قضيَّة هي قضية الإنسان في فطرته الإنسانية النقيَّة المتنبهة النامية على خطها الأصيل؛ قضية تحمل رؤية الفطرة ووجدانها وتوقها وتشوّقها، وخلوصها وطهرها، ولها غنىً يزيد الفطرة إلى زادها الروحي والفكري والخُلقي الطيّب زاداً طيباً، ويمدها فوق نورها نوراً، ويثريها على هداها هدىً؛ قضية

تملك أن تخاطب الإنسان وتملك أن ترفده؛ تخاطبه بلغة إنسانيته ووعيه ووجدانه وأشواقه الرفيعة التي هي من صميم ذاته، وترفده بما يزيد من تفجر وعيه، ويستثير من خزائن عقله، ويركّز أصيل وجدانه، وينمي مغروس أشواق إنسانيته، ويوظّف استعداداته النبيلة ليبلغ به أقصى درجات هداه ورفعته.

وهذه القضية لابد أن تكون الرجل السمع والبصر والفؤاد واليد والرجل؛ لكي تشخّص للنّاس مشكلتهم، وتراقب فيهم مواضع صحتهم وسقمهم، ولتهتدي بمن تبتدئ وبمن تنتهي، وأين تخاطب ومتى تخاطب، ولتملك أن تحتال للاصلاح والتغيير، وتتوفر على أسباب الثورة والمواجهة.

ولابد من رجل هو تلك القضية. نعم كأنه ليس إلا العقل والقلب والسمع والبصر واليد والرجل لها؛ فليس له ما يرغب أو ما يرهب مما يصرف عنها، أو يجعله يعطي من نفسه له من دونها إلا ما صبّ مصبها وكان من أسباب نجحها؛ رجل يرى سمو الفكرة في سموه، وعدلُها في عدله، وتسامحها في تسامحه، وانفتاحها في انفتاحه، ونزاهتها في نزاهته، ودقتها في دقته، وحكمتها في

حكمته، وصفاؤها في صفائه؛ رجل يتحرك حيث تريد له الفكرة أن يتحرك، ويقف حيث تشير بالوقوف، ويرتفع بكيانه كله إلى مستوى الصلابة الذي تفرضه في اطار التعامل مع الذات والآخرين أقرباء وأصدقاء، وبعداء وأعداء، وإلى مستوى السماحة الذي تتطلبه وإن كان فيه تجاوز الذات ونسيانها.

ذاك هو الرجل الأُمة الذي كان النبيَّ ابراهيم عليه السلام والنبيّ محمداً صلى الله عليه وآله، وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام وكل إمام معصوم وكان بدرجة أخرى الخميني الثائر قدس سره: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1] أمّة من الوعي والهدى ومواقف الإيمان الصلبة والقيم الرسالية والخط الإنساني الأصيل، أمّة تطلعها إلى السماء وخطها خط الفطرة، وقصدها إلى الله عزوجل.

نعم حين تتجسد القضية العملاقة في الرجل العملاق؛ الرجل الأُمة الحية المتصلة بالله، القانتة إليه، المخلصة لوجهه الكريم، المستقيمة على الدرب تكون

(١) سورة النمل: ١٢١.

الثورة وتجد قوامها، وتبقى صوتاً حيّاً فاعلاً على مدى التاريخ. وقد بقي النبي إبراهيم عليه السلام الفرد في حدوده المادية، الأُمة روحاً إيمانية منطلقة، وبصيرة عميقة واسعة، ورؤية نافذة فسيحة، وارادة صلبة خيرة، وعزماً ثابتاً ماضياً، وحكمة عالية راسخة، وقلباً كبيراً زاكياً، وكلمة رسالية واعية، وتوجهاً عباديّاً مخلصاً، وصوتاً جهادياً ثائراً، وموقفاً مبدئياً مناضلاً؛ بقي يخرّج أجيالاً، ويهدي أفواجاً، ويبني عقولاً ونفوساً وضمائر، ويثير عزائم، ويوقظ ارادات، ويشعل ثورات، ويحطّم عروشا من ضلال؛ بقي صوتاً مدوّياً يشارك كفاحات الأنبياء والأولياء قبل وبعد في صناعة التاريخ وبناء الإنسان وتصحيح المسيرة.

الركنان في الثورة؛ القضيَّة الكبيرة في رجل، والرجل الكبير في القضية، قد تنضم إليهما نخبة وأمّة من صنع القضية واشعاع الرجل وغيره من رجال القضية ومدرستها؛ وبهذا يكون التفجير أكبر، والنتائج أسرع وأكثر.

تفاوت الثورات

لا تستوي الثورات عمقاً وسعة، ولا عظمة وسمواً، ولا بقاءً وخلوداً، ولا إشعاعاً وعطاءً؛ وهي إذ تتفاوت في

ذلك كله لا يأتي تفاوتها جزافاً، وإنما يعود لأسباب لعلَّ ما يأتي أهمها:

١ ـ أصالة القضيَّة: أوّل ما يتفاوت بين الثورات في مستوياتها القضية التي تتفجر الثورة في اطارها؛ فالثورة وهي تأخذ من ترسيخ القضية والتمكين لها هدفها الأخير لا يمكن أن نكبّر اطار قضيتها؛ وبمقدار ما يكون للقضية التي تمثّل ضمير الثورة وهمها ورسالتها من تأصل وامتداد في فكر الإنسان، في استقامته وفطرته الأولى وروحه وضميره وضروراته وتطلعه؛ يمكن أن يكون للثورة التي تجسد تلك القضية وتحمل نداءها.

إنّ من الثورات ما ينطلق من همّ تقويم الأوضاع واعادتها إلى نصابها وفقاً لموازين العدل والانصاف والاستقامة في مقطع زماني خاص، أو رقعة جغرافية معينة، أو في حدود قوم من بين الأقوام؛ وهذه الثورة تبقى لو تعالت وتوسعت ثورة داخل هذا الاطار ما لم تتجاوز همّها هذا المحدود الصغير، ويكون اشعاعها واستقطابها غير قادر على الانتشار الكبير.

والقضية التي يمكن أن تحطم حدود المكان والزمان وتخلد إلى الأبد متجاوزة بموج الثورة إلى كل الأجيال والأُمم في كل زمان وفي كل مكان، هي قضية تلتقي بصلاح الإنسان وفلاحه، وبهمّ بنائه وعمارته في طريقها الصاعد إلى مرضاة الله عبر الانسجام الكامل مع نداء رسالته.

وهي قضية تستوعب أبعاد الإنسان وواقعية الزمان والمكان وما يرتبط بهما وتدخلها في الحساب من دون أن تقف عندها في الهدف الأخير أو تتأطر باطار هذه الحياة.

٢ ـ **عظمة المثال**: لسان القضية المؤدي البليغ في الناس هو مثالها منهم، المجسد لها فيهم، الذي يشعُّ بوعيها وأدبها وإيحاءاتها وهداها وصدقها وأصالتها وسموها، ويوصل نداءها إليهم، ويلتقي في خطابه ولمحاته وإشاراته وإيماءاته وإيحاءاته التي هي من خطابها وإيحاءاتها بعميق وجدانهم، وأصيل فطرتهم، وصادق همهم وطموحهم وتطلعهم. ولا يمكن للثورة أن يتأصل فيها وعي القضيَّة وأخلاقيتها بأزيد مما يكون لمثالها في

الناس الحامل لرسالتها؛ إذا كما لا يمكن أن يزيد حجم الثورة وعطاؤها على حجم قضيتها كذلك لا يزيد على مقدار القائد المفجر للثورة ونصيبه من وعي القضية وأدبها لأنه المقدار الذي ستخوض به القضية صراعها، وتتشبع به الثورة في تفجّرها.

فالقضية وإن تكن أكبر قضية لا يمكن أن تكون ثورة كبيرة بقدرها ما لم تجد نفساً بشرية مثالاً تتسع لها، وتحمل قيّمها وهداها ورسالتها في كل كلمة، وفي كل موقف وفي كل منعطف، وعند كل منزلق؛ وبقدر ما يغيب من هدى القضية وقيّمها في رجل القضية يغيب منها عن مرأى الناس ومسمعهم ونفوسهم وأفئدتهم، ويثلم من قدر الثورة، ويخسر من وزنها وفاعليتها وأثرها.

هذا الرجل الأوّل في القضية والثورة هو معبر وعيها وأدبها للناس؛ وأثرها فيهم إنما هو بقدر ما تفيض به نفسه مما له منها من خير لا يقف عند مكان ولا زمان، ولا شعب ولا أمّة، ومن هدى ونور وغوث ونصرة تنبسط بهما يد العطاء لكل طالب، بل يتفقد مواضع الحاجة إليهما منه قلب كبير يسع القريب والبعيد.

فكلما كان هناك مستوى إنساني قافز لـه مـن اللحـاق بمستوى القضية البعيدة المتميزة نصيب أكبر، وكان مثـال القضية ورمز الثورة كـان أمـل لمـوج الثـورة واشـعاعاتها، وأكسبها قـدرة علـى البقـاء والتمـرد علـى أعاصـير الأيّـام وأحـداثها المزمجـرة؛ وإذا وجـد المثـال الإنـساني القمـة الذي يقف مع القضية في سماء رفيعة واحدة غنيَّة بالعطاء الذي تحتاجه الأرض ولا تستغني عنه أبـداً أبـى للثـورة ان تذوب، وأن يجوز عليها ذبول أبداً.

وكلما كان للقـضية نُخـب تـضم صـوتها إلـى بطلهـا، كان أعطى للثورة أن تُفهم وتمتدّ بدرجة أكبر في العقول والقلـوب والنفـوس، وأن تُتمثـل أفكـاراً هاديـة، وقيـّماً عملية، ومشاعر إيجابية واقعة في ذوات الكثيرين.

٣ ـ تجاوز التوقعات: قد تولـد الثـورة فـي ظـروف محسوبة لـدى الكثيـر مـن المـراقبين للأوضـاع بلحـاظ مـا يقدّمـه لهـم سـبرُهم وتجـاربهم وتحلـيلهم الاجتمـاعي والنفسي والسياسي وحساباتهم الفنيَّة في هذه المجـالات، فيكون مجيئها على تقدير مرئي للعديدين، وفي وسط من الترقب المتشائم للأعداء، والتفـاؤل الـضاحك للأصـدقاء؛

وقد تأتي تقديراً ينفرد به قائد لا يسمح لغيره مستواه أن يرى رؤيته، ويقدّر تقديره؛ تقديراً لا تقع عليه إلا عين البصير المتفرد، ولا ترقى إليه النخب، ولا يكتشفه النظر الحديد مما عند الآخرين.

وقد يفجر الثورة ابتداءً عزم تلاقت معه عزوم على تسلّق القمة، ومقارعة الموت ومواجهة نتائج البركان، وقد لا يفجّرها ابتداء إلا عزم واحد متفرد من بين العزوم وإن تابعه منها ما يتابعه أثناء الطريق؛ هذا العزم يكون من إقدامه أن يواصل الطريق وحده غير مستوحش ولا آبه لفقد النصير، غير معلّق مضيَّه على الدرب الصعب على عدة ولا عدد؛ نعم شدة هذا العزم وتلحّظه يولدان عزوماً أخرى لاحقة تشارك في البذل والعطاء، وشق الطريق إلى النتائج.

ومن التحركات ما يأتي ردَّ فعل تدفع إليه محاصرة الظروف التي تفقد الفرد أو الجماعة كل خيارات النجاة، وتجعل صاحبها في زاوية الموت الحادّة التي لا تنفتح على طريق ترجى منها السلامة إلا طريق تفجير الأوضاع. ومنها ما يأتي به خيار حرّ طليق من خيارات العقل والمروءة والدين، يقدّم التعب على الراحة، وشرف

الشهادة على ذلّ الحياة، وإن كانت الشهادة صورة من أشدّ صور المأساة وآلام البدن، وكانت الحياة أنعم حياة وأرفه حياة؛ خيار من وحي الوعي الخالص، والتقدير الدقيق، والرؤية المتثبتة، والروحية الشفّافة، والتصميم الفولاذي الهائل، بلا محاصرة خانقة في الخارج، ولا انفعال هائج في الداخل، ولا غياب لاكداس المحن المترتبة عن النظر الحديد.

وقد تبدأ الثورة اعصاراً عاتياً وبركاناً هائجاً، إلا أنها من بعد حين وحينما تصطدم بصلابة الأحداث وهول المشاقّ تعود جوّاً هادئاً، وحالة وادعة، وتسكن ريحها وينتهي كل شيء وليكن ما يكن من نتائج يُحصل معها على الراحة وتسلم الحياة. وقد لا تزيد الثورة أيّامها الصعاب المثقلة بالهموم، ودربها الطويل المليء بالتحديات إلا اصراراً وعزيمة، وإلا شدة وصرامة.

ومن الصور أن تجد الثورة أول انطلاقتها، وقبل انطلاقتها رأياً عاماً داعماً يستثير الهمّة، ويشدّ العضد ويدفع على الطريق وخلاصة من آراء أهل المواقع تتفاءل لمستقبلها؛ وعلى خلافه قد لا تواجه الثورة عند بدء تفجُّرها إلا سخرية عدوّ، واشفاق صديق، وتخديراً

وتخذيلاً من أصحاب الرأي وأهل المشورة؛ إلاّ أنّ وعي القائد، ورؤيته الثاقبة، وروحه المضحية، وقيّمه العليا وصرامة بأسه، وصلابة عزمه تجعله يتجاوز كل الآراء القاصرة، والمشاعر الواجفة، والحسابات الصغيرة ليمضي قدماً على هدى من ربّه، ويقين من دينه، وسلامة من نيته، وعلم بربح تجارته التي لا تبتغي دنيا، ولا تهدف إلى حطام، ولا يهمها أن تحتفظ بحياة؛ إنما كل همها نجح القضية ونصرها؛ يمضي قدماً لتأتي النتائج كما رأى في أوّل الطريق عزّاً وغلبة للقضية التي آمن بها؛ سواء سقط شهيداً في سبيلها، أم صار حاكماً يرعى مصالحها.

والثائر ليس واحداً في كل صورتين متقابلتين مما تقدّم، فالبطولة أكبر، والعظمة أبين حين تأتي الثورة من منبع رؤية يتفرد بها القائد، وتصميماً لا يشاركه ابتداء تصميم الآخرين، وخياراً حراً واعياً من قضاء العقل والدين، لا موقفاً يدفع إليه حصار خانق من الخارج، أو يسوق إليه هياج متهور من الداخل، ويحث عليه تشجيع وتزيين وترغيب من هنا وهناك. ولا بطولة ولا عظمة إلا بأن تثبت قدم القائد على المداحض، لتتثبت به الأقدام،

وبأن ينتفي تراجع وتذبذب، ويكون الاصرار والمواصلة والاستقامة.

ولنقف الآن أمام ثورتين عملاقتين خالدتين ـ أمّ وشعاع ـ تُريانا مكانهما من هذه المقاييس، وثائرين كبيرين ـ أستاذ وتلميذ ـ يُعلمانا التمسك بهذه القيّم؛ على أن الثورة الشعاع والثائر التلميذ، فضلا عن الثورة الأُمّ والثائر الأُستاذ، سيبقى محل تشوق الكثير من الثورات والثائرين، ولن يملك الكثير اللحاق به، حتى تنتهي المسيرة إلى بقية الله الأعظم أرواحنا فداه وعجل الله فرجه لترى الدنيا كلُّ الدنيا فيه اليقين كله والصدق كله والعلم كله والشجاعة كلها والثورة أرفاها وأروعها وأعمقها وأشملها، وليريها الإسلام كاملاً في ثورته المجتاحة وعدله العميم.

تكون الوقفة مع الثورة الأُمّ، ثورة الحسين السبط قُدِّسَ سِرُّه، ثورة الشهادة والإباء، والثورة الشعاع؛ ثورة القائد الخميني قُدِّسَ سِرُّه في عدد من المحاور هي:

١ ـ القضية.

٢ ـ القيادة.

٣ ـ النخبة والأُمة.

٤ ـ الظرف والأداة.

٥ ـ النتائج.

ومما سيعنى به في غالب هذه المحاور صفة الشعاعية والامتداد في الثورة الثانية للثورة الأُولى الأصل الثابت والمعين الذي لا ينضب.

المحور الأوّل: القضيّة

تنطلق الثورتان المباركتان من محور واحد هو رضا الله سبحانه ببعدين متلازمين هما تأصيل الإسلام وتمكينه، وتحرير الإنسان وتكميله. والحديث تحت هذا المحور يكون في نقاط:

١ ـ الإسلام.

٢ ـ الإنسان.

٣ ـ بين الإسلام والإنسان.

٤ ـ الهيمنة أو الشهادة. ما هو الطريق؟

وكلمة الإمام الحسين عليه السلام عن منطلق الثورة: «**رضا الله رضانا أهل البيت**»[١]، «**هوّن علي ما نزل بي أنه بعين الله**»[٢].

ويقول الإمام الراحل عنه: «إن الله معنا، ونحن نعيش مع اسلامنا ونعمل لله، ولماذا يخاف من يعمل لله، وممّن يخاف من يسير في طريق الله؟!»[٣].

---

(١) انظر الوثائق الرسمية، عبدالكريم القزويني: ٧٨، عن مقتل الحسين للأمين: ٦٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، المقرّم: ٢٧٩.

(٣) رسالة الثورة الإسلامية: ٤٠، العدد ٢٧، ذو الحجة، ١٤٠٣ هـ.

ويأتي فهم قائد الثورة الإسلامية في إيران من فهم سيده أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي يرى أنّ رضا الله سبحانه والعمل له إنما يتم ببذل النفس والنفيس لتثبيت الإسلام الاصيل في العقول والقلوب، والتمكين له في الواقع العملي من حياة النّاس انقاذاً لهم، ودفعاً بهم على طريق الكمال، طريق العبودية الخالصة لله سبحانه، في تحرر كامل من جميع الأوثان والعوائق.

ولنتابع عناية الثورتين بالإسلام والإنسان والفهم الدقيق لعلاقة ما بينهما، وما أكدتاه من طريق لانقاذ الإسلام وتحرير الإنسان.

١ ـ الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّه الإسلام﴾(١)**، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام ديناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**(٢)**، ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**(٣)**، ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ**

---

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) المائدة: ٤٧.

﴿فَأُولئكَ هُمُ الظَّالمُونَ﴾[1]، ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[2].

طريق الصعود إلى الله، والتأهل إلى مرضاته، والتأدب بأدبه، طريق واحد لم يترك الله عزّوجلّ للعباد أمره، بل نصَّ عليه نصّاً، ورفض مما سواه رفضاً قاطعاً، فلا غير الإسلام، ولا بديل عنه، ولا شيء يضاف إليه.

وليس إلاّ الإسلام الذي يعترف بحاكمية الله ويردّ الأمر كله إليه، ويواجه من يعطي لنفسه حق الحاكمية من دون الله.

هذا هو الإسلام الذي كانت من أجله عاشوراء مواجهةً للاسلام الأموي اليزيدي المزيّف وكانت من أجله الثورة الإسلامية في إيران ردّاً على الإسلام الشاهنشاهي الأميركي المكذوب.

إنّه التمييز الواضح للاسلام اللافتة التخديريّة الاستغلالية الذي يعلو سوطاً على ظهور المحرومين المقهورين، ويُسوّق تبريراً لتسلط الظلمة الجبّارين؛ هذا التمييز الذي حرصت نصوص الثورتين على تركيزه وعياً

(١) المائدة: ٤٥.
(٢) المائدة: ٤٤.

وشعوراً وموقفاً عمليّاً في نفوس أبناء الأُمة وجماهيرها العريضة؛ التمييز الذي أعطى قيمة خاصَّة لكل قطرة دم تقدَّست بهذا الوعي من دم شهيد أو جريح.

ومن النصوص الصارخة بهذه الرسالة من الوعي لكل أجيال الأُمة وقوافلها ولكل من يريد حكماً على الإسلام من كل النّاس هذه البيانات الساطعة من سيد شباب أهل الجنة:

«وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدّي صلى الله عليه وآله. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام»[1]، **«... على الإسلام السلام إذ قد بليت الأُمة براع مثل يزيد»**[2]، **«ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّا، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا بَرماً»**[3].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبدالرزاق الموسوي المقرّم، ١٣٩٠ هـ.

(٢) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم الحسيني القزويني: ٤٤٠، عن مقتل الحسين للأمين: ٢٤.

(٣) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم الحيسيني القزويني، ١١٢، عن مقتل الحسين للأمين: ٩٠، والطبري: ٣٠١.

إنّ الإسلام فهماً معيناً في فكر النّاس، وشعوراً خاصاً في نفوسهم، وموقفا محدداً في سلوكهم، وعلاقات عمليّةً، وأوضاعاً سياسية واجتماعية واقتصادية، وقيماً تتلون بها ساحة الحياة، ونفسيَّة تكبر أو تصغر، وروحية تسمو أو تهبط ليتبع إسلام الحاكمين مع خلو الجوّ لهم وتفردهم بالساحة، فإذا حكم يزيد ولم يكن من يفضحه فلن يكون إلا الإسلام اليزيدي والإسلام الاميركي المترشح عن ذوات من اسفل الذوات، ومنابع جائفة لا يندّ عنها إلا خبيث رديء آسن. وهو كفر يتبرقع بما قد يتراءى إسلاماً في البداية، فلا يلبث أن يسقط القناع ويعلنها كلمة كفر صريحة لا مواربة فيها.

لذا لابد أن يقف الإسلام الصادق المتنزّل على قلب محمدﷺ في رمزه الكبير وقدوته الأولى سيد الشهداءعليه السلام في وجه المؤامرة ليسقطها بدمه الفوار بنور الإيمان، الزخار بشعلة الهداية؛ لابد أن تكون الثورة الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر في الدائرة الإسلامية الشاملة لصعيد الفكر والشعور والعمل والمنطلقات والاهداف والفرد والمجتمع، وأن يكون من هدف التحرك الثوري الضخم هذا الهدف المقدس المتركز في

سحق المؤامرة على الإسلام من الداخل، وتقديم الإسلام القرآني لكل الناس من خلال أوضاع حيوية متقدمة وعلاقات إنسانية رائعة تكون المدرسة العملية الشاهدة على عظمة الإسلام وكفاءته في قيادة الحياة وإيجابيته وعدله ونَصفه؛ الأمر الذي لا يتكفله القرآن الكريم ولا أحاديث السنة المطهرة تكفلاً مباشراً فاعلاً، وإنّما هو مهمة الممارسة العملية لحكومة العدل الإلهي التي تحول المفاهيم والأحكام والأخلاق والمشاعر التي يدعو إليها الإسلام إلى واقع عملي حيّ شاخص، وتملأ مساحة الحكم الولائي بما ينطلق من روح العدل، ويستهدف الحفاظ على المصالح العليا للرسالة وأمّتها، ملتزمةً في ذلك كله خطى السيرة القدوة المؤسِّسة؛ سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والسيرة القدوة الباعثة؛ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي السيرة التي تردّ النّاس إلى السيرة عن التشريق والتغريب والميل عن الصراط ولو بمقدار. وما كان لكلمة الإمام الحسين المعصوم عليه السلام بدّ من تأكيد السيرة الثانية والتقائها كاملاً مع سيرة الرسول صلى الله عليه وآله، وأنهما لسانان ناطقان عملا على حدّ واحد بقيم الإسلام ومثله كما هي في النصّ الإلهي المصون عن

الزلل، ولتأكيد أنّ ما أعقب سيرة الرسولﷺ من دونها عدله نسبي، وتمثيله للسيرة القدوة مأخوذ عليه أنه منقوص.

نعم كان التقويضُ للاسلام اليزيدي، والتمكين للإسلام المحمدي الأصيل في أكبر مساحة ممكنة من عقول النّاس وأفئدتهم وأوضاعهم العملية الهدف المقدس الذي هبّ من أجله أبو عبد اللهعليه السلام على طريق مرضاة الربّ العظيم.

هذا الهدف الذي صرخت به كلمات الحسين الشهيدعليه السلام ونطق به جهاده المستميت نجده تماماً في كلمات تلميذه الأمين ومواقفه؛ يقولقدس سره الشريف: «إنّ شعبنا يعرف أننا نحارب من أجل الإسلام ومبادئ الإسلام، ونذود عن الإسلام»[1].

«نحن طردنا أميركا لنقيم دولة إسلامية، لا أن نأتي بالاتحاد السوفياتي محلها. شعارات شعبنا تظهر هذه الحقيقة. نحن قلنا دائماً: لا غربيَّة ولا شرقيّة»[2].

(١) رسالة الثورة الإسلامية: ٤١، العدد ٢٧، ذو الحجة، ١٤٠٣.
(٢) الشهيد، العدد: ٢٧: ٢٧.

وهو الذي فجر الثورة العارمة من أجل الإسلام المحمدي الأصيل، مطلقاً تحذيراته المتوالية من الإسلام القشر الذي يختبئ فيه اللب المرُّ الخبيث المنتن الأميركي، والذي لا يتفتق إلا عن شجرة الكفر والالحاد الصريحين.

يقول(رض): «لن نسمح بعودة أميركا وروسيا إلى إيران، وسنطبق الإسلام الذي يريده الله»[1].

نعم هناك إسلام يريده الله وبه جاءت رسله ودعت إليه أولياؤه، وما زال ولا يزال يحمل رايته المخلصون من عباده، وهو علم وحكمة وصدق وعدل وتقدم ورخاء وتوحيد شامل، وعبودية خالصة لله تبارك وتعالى، فيها انطلاق الإنسان إلى كماله، وفيها انعتاقه من كل الأغلال وتحرره من كل العبوديات المحقِّرة المقزِّمة.

وهناك إسلام يريده الشيطان ويدعو إليه أولياؤه ويجد أنصاره من الأراذل والصغار من طلاب الحياة الدنيا وباعة الضمير وذوي العاهات الروحية والإنسانية؛ إنّه إسلام يزيد وأميركا وكل العملاء والأذناب والقنوات

(١) كيهان العربي، العدد ١٤٦، الخميس ٣، ذو القعدة ١٤٠٣ هـ.

القذرة لامتصاص دماء الشعوب واقتيات تقدُرات الناس ومقدَّراتهم؛ إنه الإسلام الذي يقف مع الكفر على صعيد واحد في مواجهة صحوة الفكر والضمير في كل مكان، ويقف بالمرصاد لاي اطلالة نور للاسلام المحمدي الأصيل.

وإنّ القائد الراحل(رضي الله عنه) جدّ الجد كلّه على خطى سيده الإمام الحسين عليه السلام ثائراً وعازماً أن يميّز للعالم كله بين إسلام تنزَّل من السماء علماً وعدلاً ورحمة وكرامة وأماناً وإحساناً، وإسلام صنعته شياطين الجن والإنس فكان جهلاً وظلماً وقسوة وخوفاً وإساءة وهواناً.

وبقي الهدف الإسلامي النبيل في الثورتين ماثلاً في كل كلمة، وفي كل موقف وحركة وسكون حتى آخر نفس مقدّس عند شهيد الطف سيد الشهداء عليه السلام، وآخر لحظة من حياة تلميذه الثائر البار الفقيه المجاهد.

٢ ـ الإنسان: هذا هو البعد الثاني من بعدي قضية الثورة في كربلاء وفي إيران، فالهدف الثابت فيهما هو تجلية الإسلام وتمكينه، وتحرير الإنسان وتكميله؛ وذلك

في اطار ما فجر الثورتين من طلب مرضاة الله العزيز العظيم.

وللإنسان والإسلام مصير واحد مشترك في الأرض، فلا يكون انسان بلا إسلام، ولا يبقى اسلام بلا إنسان. الإنسان السوي هو خريج مدرسة واحدة ومحضن واحد، هو محضن الإسلام، والإسلام أمانة ثقيلة كبرى إذا كان لأحدٍ في الأرض أن يتحملها فلا يكون إلا إنساناً محتفظاً بمقومات إنسانيته؛ أمّا المصابون بالمسخ في لبّ إنسانيتهم فلا ينهض بهم إسلام.

وما جاء الرسل وما تنزلت الرسالات وما كان جهاد الأنبياء والأولياء إلا لصناعة الإنسان وتربيته وتكميله.

لذا فما من ثورة تصدق مع الإسلام إلا وتصدق مع الإنسان؛ وآية الزور في أي ثورة تحمل شعار الإسلام أن تستغل الإنسان أو تهمله. والإنسان كلّ مترابط لاتكاد تستقيم أُخراه بلا أولاه، ولا أولاه بلا أُخراه، لا يكاد يكمل في معزل تام عن دنياه، أو تستقر له حياة بدن في حالة من فوضى الروح وسقمها وتبعثرها.

وإنّك لتجد نصوص الثورتين تنظر للاسلام والإنسان شقَّي قضيَّة واحدة، وتعطي من همها لهما على حدّ سواء؛ وإليك من هذه النصوص:

عن سيد الشهداء عليه السلام: «**وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله**»[1]، «**... وحششتم علينا ناراً اقتدحناه على عدونا وعدوكم فأصبحتم إلباً لاعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم**».

ويقول المستلهم بحقّ لدروس الثورة في كربلاء الإمام الحسين عليه السلام ودروس الوعي في حكومة القرآن لأمير المؤمنين عليه السلام في نص القرار الذي سمّى فيه محمد علي رجائي رحمه الله رئيساً للجمهورية في صباح يوم عيد الفطر الموافق ٢ / ٨ / ١٩٨١م: «إن هذا الحكم يكون ساري المفعول طالما كان يسير في خط الإسلام العظيم وملتزماً بأحكامه المقدسة... وساعياً لخدمة مصالح بلده وشعبه العظيم... وإذا لا سمح الله عمل خلاف ذلك فاسحب الثقة والمشروعية عنه».

ويضيف في نفس النصّ وفي سياق الالزام: «... وأن يفتخر ويعتز بخدمة عباد الله وبالأخص المستضعفين منهم

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبدالرزاق الموسوي المقرّم: ١٢٩.

فإن هؤلاء هم الأوفياء للاسلام وحماة جمهورية إيران الإسلامية»[1].

ويقول: «من أعظم الخيانات أن يجعلوا طاقتنا الإنسانية متخلفة ويحولوا دون اصلاحها ونموها»[2].

وفي نصّ آخر: «إننا مع إعلاننا للبراءة من المشركين وما نزال مصممين على تحرير الطاقات المكبوتة للعالم الإسلامي»[3].

وفي ثالث: «انتصار القلوب أكبر من انتصار الحرب وفتح القلوب أكبر من فتح البلدان»[4].

وهو يرى أن مهمة الإسلام تتمثل في أنه «يربي الإنسان ليكون إنساناً في جميع الحالات»[5].

تقف بنا نصوص الثائر الإمام المعلّم عليه السلام ونصوص الثائر التلميذ(رضي الله عنه) على الوعي الإسلامي الاصيل الذي يعمل من أجل أن يسمو بأوضاع الأرض والإنسان لا أن يحلّق منفصلاً عنها. أجلُّ مفهوم يؤكده الإسلام،

(١) صوت الأُمة، العدد ١٨، شوال، ١٤١٠ هـ.
(٢) رسالة الحرمين، العدد ٢٢: ٤٢.
(٣) منقولة من مصدر ضيّعته بعد ذلك.
(٤) صوت الأُمة، العدد ١٠ ـ ١١: ٧، ١٤٠١ هـ.
(٥) رسالة الحرمين، العدد ٢٣: ٤٢.

وهو مفهوم التوحيد الإلهي، إنما يركّزه في عقل الإنسان وقبله ليصنع له تفكيره ووجدانه وشعوره وواقعه وعلاقاته وكل أوضاعه لتشف وترف وتسمو وتتعالى.

إنه ليستحيل أن يتحول التوحيد في ظل وعي إسلامي أصيل إلى قضية فلسفية جامدة تأكل العمر في أروقة الجدل المترف بعيداً عن أن تصنع وضعاً متقدماً للإنسان في نفسه وواقعه الخارجي.

﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسُولاً منْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكتَابَ وَالْحكْمَةَ وَإن كَانُوا من قَبْلُ لَفي ضَلاَل مُبين* وَآخَرينَ منْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بهِمْ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ﴾[1].

لا نعرف من القرآن الكريم ولا من سنّة المعصومين عليهم السلام إسلاماً مفصولاً عن هموم الإنسان ومشكلاته، ومنعزلاً عن قضايا الساحة العملية، وهارباً عن مواجهة التحديات وخوض معركة الحياة.

فالإسلام الذي يقرّر للامام الحسين عليه السلام الثورة والشهادة هو الإسلام الذي يُصلح أوضاع الأُمة الفكرية

(١) سورة الجمعة: ٢ ـ ٣.

والروحيـة والنفـسية والعمليـة مـن اقتـصادية وسياسـية واجتماعية وصحية وغيرها.

«**وإنّما خرجت لطلب الاصـلاح فـي أمّـة جـدي**» والتغيير الشامل والاصلاح الكامل للعالم كل العالم وللدنيا كل الدنيا هو محطّ النظر عند أبـي عبـد الله الحـسين عليه السلام؛ واصلاح الأُمة الإسلامية هو الطريق للتحرير الشامل الـذي لا يهمل شعباً ولا ينسى أمّة وهل يراد للناس جميعاً إلاّ أن يكونـوا أمّـة واحـدة مـسلمة لله مـستكملة وجودهـا علـى طريقه؟! ومن سيصلح الأرض أهلَها وقيمَها وأوضـاعها إذا لم يتم للأُمّة الإسلامية اصلاحها؟! ومن أين سيعم الأرض الهـدى ومـوازين القـسط وقـيم العـدل إذا لـم يـتم نـسف النقيض المتسلل على أيدي المخربين إلـى ديـار الإسـلام وربوعـه؟! لابـد للامـام الحـسين عليه السلام أن يحطـم الحكـم الطاغوتي داخل الأُمة أولاً، ويبعثها رساليّة، ويواجـه عـدو الله وعدوها وعدو الإنسانية جمعاء ممّن يسعى لإطفاء نـور الله في الأرض في مهده ومنبعه، لتشعّ الأرض كل الأرض بنور ربّها من بعد حين.

ويأتي الإنسان في كلمات الإمام الراحل محـطّ النظـر للإسلام والثورة لا في جانـب منـه دون جانـب ولا حيثيـة

دون أخرى. الإنسان كل مترابط بأبعاده الروحية والجسدية والاهتمام به لا يتجزأ لأنّ هذه التجزئة المقابلة بترابط وجوده فاشلة حتماً في تربيته وتكميله؛ ومن هنا يكون السعي لخدمة مصالح البلد والشعب يعني محاولة الإثراء الشامل والاصلاح الكامل للوضع الإنساني والمعيشي لأبنائه واحداث التغيير الإيجابي في البنى التحتية والفوقية من وجود الإنسان وحياته داخله وخارجه.

ولا يكون الاصلاح جادّاً، بل لا صدق له أصلاً ما لم يكن المستضعفون والمحرومون محل العناية القصوى والاهتمام الشديد، وإلا فهو الشعار غير الوفي للأوفياء، والوعد المكذوب للصادقين.

والإنسان على ترابطه بكل أبعاد كيانه هو روح قبل أن يكون بدناً، وهو بعقله وقلبه ونفسه أكبر منه برجله ويده، بل هو ذاك الروح والقلب والعقل؛ أمّا ما هو من البدن فوسائل اتصال وأدوات وفعل وآلات انتاج؛ لذا يكون من مهمَّة الثورة وهي تحارب الفساد كله، وتستهدف الاصلاح كله أن تركز عنايتها كثيراً في معالجة عطب الداخل في كينونة الإنسان وإصلاح الخلل

فيما هو اللب منه وهو أصل انسانيته ومعناه؛ وأنت تجد هذا واضحاً في النصوص الأخيرة المنقولة للامام الراحل قدس سره ولاسيما في ما ركّز على انتصار القلوب وفتحها وتربية الإنسان ليحيي إنسانيته وعيها وهدفها وقيمها غنياً ومفتقرا مغلوباً وغالباً، محكوماً وحاكماً وفي جميع الاحوال.

٣ ـ بين الإسلام والإنسان: لا تزاحم مطلقاً بين الإسلام بقائه وعزّه وظهوره، وبين إنسانية الإنسان، فليس أكثر من أن يتطلب عزّ الإسلام تضحية الإنسان، وهو هنا انما يضحي ببدنه تقديماً لإنسانيته التي لا تجد ذاتها إلا في الإسلام؛ وليس من لحظة يشهد فيها الإنسان حضوراً انسانياً غنيّاً، وغزارة وتدفقاً وفاعلية لهذا الوجود، ونضجاً وقفزة في مستواه كلحظة إقدامه على الشهادة في سبيل الله واعياً مختاراً مطمئناً مخلصاً؛ إذ لاشك أنها اللحظة التي يصغر فيها عند الشهيد كل شيء من دون الله، ولا يكون كذلك إلا بأن يكون الله قد فتح عليه باباً من اللطف والهدى وأسكن قلبه الطمأنينة بما أراه من جماله وجلاله وصادق وعده مما يريحه ويُرضيه ويرتفع بشعوره عن

الدنيا وما فيها، وهي لحظة ترى إنسانية الإنسان فيها ذاتها صدقاً ظلاً لقدرة القدير ولطفه الكبير؛ وهل لإنسانية الإنسان غنىً ونضج وبلوغ غير أن نرى هذه الرؤية فتزايل الدنايا وتطيب وتطهر، وتستريح وتستقر، وتشق ويغمرها اطمئنان وفير؟!

وهذا الاتصال الحي المثري من الفاني بالباقي، ومن الذليل بالعزيز، ومن الفقير بالغني، يضاف إلى أنه يمثل القفزة الهائلة والنضج النهائي لإنسانية الشهيد أنه يبقى منذ لحظة الشهادة الاتصال الحي الثابت الدائم الذي لا غياب له ولا فتور.

هذا وقد يحصل التزاحم بين مصلحة البقاء والعز للاسلام، وبين البقاء عدداً من سنوات في الحياة الدنيا لبعض من مجتمع أو أمّة؛ وهو تزاحم بين إنسانية الإنسان وعزه وكرامته وبقائه الخالد الراغد من جهة، وبين أن يبقى بجسده قليلاً أو كثيراً من سني الذّل والهوان والخسة في الفانين من جهة أُخرى؛ وهو تزاحم لا يتردد فيه الإسلام بشهادة نصوصه الداعية إلى الجهاد، وتاريخه في الصراع المرير مع الكفر كله؛ لا يتردد أن يقدم عزَّ

الإيمان وإنسانية الإنسان وحياة السُعداء الخالدين على حياة الذل والانسحاق في الاشقياء الفانين.

نجد هذا الفهم متجلياً في كلمة سيد الشهداء عليه السلام وهو يخاطب في رسالة له إلى بني هاشم: «**فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلّف لم يبلغ مبلغ الفتح**»[1] ما أروع تجسيد كلمته عليه السلام التي خطّها بدمه الشريف في قلب الزمن وهو دم لا يجف ولا يمحى! ما أروع تجسيدها لقيمة الشهادة في سبيل الله وتسليطها الضوء على ذلك الانتصار الهائل لحظة الشهادة على ضعف الذات وهلعها وحرصها وشحّها، وعلى ذلك الإنطلاق الكبير من سجن الذات الدنيا إلى الأُفق الممتد للذات العليا، والتحرر الشامل من أسر الطين ومشاغله ومخاوفه ورغائبه الصغيرة، والانعتاق الضخم للروح من قوقعة الأرض وحساباتها إلى الابعاد اللامتناهية وراء عوالم المادة وأكوانها! فالشهادة في سبيل الله أكبر نصر ويوم فتح تحققه الذات في عالم ذاتها، وأمضى سلاح يحقق للاسلام عزه وللأُمّة هيبتها، والتخلف عنها ذلة وهوان، وتقزّم في الذات الإنسانية وانكماش في أبعادها.

---

(١) انظر الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم الحسيني القزويني: ٤٧، عن كتاب عبرة المؤمن، جواد شبر: ١٧.

والكلمة الأُخرى لسيد الشهداء عليه السلام في هذا السياق: «**ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً**»[1]. قالها كلمةً لا يهدأ لهيبها حرفاً، وقالها كلمةً لا ينتهي تفجرها دماً.

ثم إنه لو كان موت بلا جنّة ولا نار لما صبر الحر على الحياة يدفع ثمنها ذلة من نفسه وانسحاقاً أمام طاغية من الطواغيت؛ كيف والشهادة تعني فوز الأبد؟! فهذا أبو الأحرار وهو يحمل على ميمنة العدو يعبر عن إبائه وحميته من جهة وعن شدة تقواه ومبدئيته من جهة أخرى:

الموت أولى من ركوب العار والعارُ أولى من دخول النار

النار التي هي عنوان سخط الله ومقته، وعنوان الخسة والسقوط لمن كتبت عليه؛ العارُ وهو أشد من حزّ المدى والسيوف على الأبي مقدَّم عليها. وهو العار الذي يعني

(١) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم الحسيني القزويني: ١١١ ـ ١١٢، عن مقتل الحسين عليه السلام للأمين: ٩٠، والطبري: ٣٠١.

ذلة الظاهر في احتفاظ كامل بعزة الباطن، والعيش في ظل سيطرة العدوّ حين يعني تفجير الأوضاع تضييعاً أكثر للمصلحة الإسلامية العليا.

من بعد ذلك تأتي كلمات القائد الراحل قدس سره لتعبئ النفوس بالوعي التضحوي وخيار الموت تقديماً للمصلحة الإسلامية العليا على كل شيء مقتفياً خط الوعي الذي رسمه دم الحسين الشهيد عليه السلام: «فحفظ الإسلام هو أهم من جميع الواجبات ولأجله جاهد وضحَّى غاية التضحية الأنبياء العظام من آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، لم يصدّهم عن أداء هذه الفريضة الكبرى أي مانع؛ وتابع الأنبياء على ذلك الصحابة المؤمنون، وأئمة الإسلام عليهم صلوات الله؛ سعوا بكامل الجهد حتى التضحية بالنفس من أجل ذلك»[1].

«إنَّ حفظ حياة المسلمين أهم من كل شيء، وإنّ حفظ الإسلام أكثر أهمية من الحفاظ على حياة المسلمين»[2].

«إنّ استشهاد أبناء الإسلام وذرية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأبناء فاطمة والحسين عليهما السلام في سبيل الإسلام

---

(١) دراسات: ٥٥، العدد١١، صفر، ١٤١١، أغسطس ١٩٩٠م، عن الوصيّة.

(٢) صوت الأُمة ، العدد ٢٠: ١١٩، ذو القعدة، ١٤٠١ هـ.

وتحقيق أهدافه السامية ليس بالأمر الجديد، أو الظاهرة الحديثة، فلقد قدّمت الأُمّة الإسلامية العظيمة في محراب مسجد الكوفة وصحراء كربلاء أرض العزّة والفخر والشرف على امتداد التاريخ الشيعي المخضّب بالدماء قرابين عظيمة في سبيل الله ورفعة الإسلام العزيز، وإنّ إيران الشهادة غير مستثناة من هذه الظاهرة السعيدة فالثورة الإسلامية قد قدَّمت الكثير من الشهداء الذين اختطّوا نهج إمامهم الحسين عليه السلام»[1].

وهكذا تحمل كلمات القائد الكبير الوعي الإسلامي الأصيل بأمانة وإخلاص عبر الكلمات والمواقف الثورية اللاهبة إلى كل أجيال الأُمّة، وتغرس فيها الروح المبدئية الصادقة التي تجعلها تقدّم كل شيء من أجل الإسلام وترى حياتها في الموت في سبيله.

ولقد نطقت دماء الأنبياء والأوصياء والصديقين وهي تسقي شجرة الإسلام عبر التاريخ المديد أن ليس من دم يمكن أن يبخل به على الإسلام؛ وكيف يعز دم على الإسلام وما شرف دم وما تقدس إلا بما انتمى للإسلام وجسده؟! وهل الدم الذي لا تسري فيه الروح المبدئية التضحوية الفوارة التي تذود عن الإسلام وتجاهد بين

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد٦٥، ربيع الأول، ١٤٠٢ هـ.

يديه إلا دم من دماء الاغنام والابقار؟! لا يعز الدم إلا بالإيمان ولا يسمو إلا بالتشرب بمفاهيم العقيدة وقيمها، ولا يكون كذلك أو يجوز عليه أن يحتفظ بتدفقه في العروق دون أن يتفجر خارجاً ليسقي شجرة المبدأ ويدفع عنها غائلة الاجتثاث.

نعم هذه هي العلاقة. الإسلام من أجل الإنسان يربيه ويزكيه ويقوّم مسيرته ويصحح أوضاعه ويبلغ به غايته؛ والإنسان يتحمَّل أمانة الإسلام حتى الموت في سبيله، وهذا موت جسد فيه أشد حياة للروح وأكبر طفرة في الوجود، وأخصر طريق للغاية.

٤ ـ **ما هو الطريق؟** :الثورتان الام والشعاع تستهدفان عز الإسلام وحفظ إنسانية الإنسان، لكن ما هو الطريق الذي ترشّحانه لتحقيق هذا الهدف؟ أهو النصر أم الشهادة؟ أم إنّ هذه كان لها طريق وتلك طريق ابتداء بالاختيار؟ هل اختارت الثورة الأُمّ الشهادة من دون أن تطلب النصر وتخطط له؟ وهل اختارت الثورة الشعاع النصر من دون أن تقبل من الشهادة إلا ما يفرضه النصر العاجل؟

تاريخياً كان للامام الحسين عليه السلام أيام معاوية بعد وفاة الحسن الزكي عليه السلام لقاءاته السياسيّة التحضيرية ببعض

النخب في المجتمع الإسلامي يوم ذاك، وإن لم ير التحرك قبل هلاك ذلك الطاغية لأكثر من وجه. واختار الإمام عليه السلام مكة محلاً لإقامته بعد خروجه من المدينة لأسباب قد يكون في مقدمتها ما توفّره من فرص اللقاء بجماهير الأُمّة وطلائعها من كل نقاط البلاد الإسلامية، خاصة في موسم الحج الذي تزخر فيه بأفواج الحجيج وجموعهم؛ وكانت بين أهل الكوفة وبينه مكاتبات تتصل بالثورة، وقد أرسل إليها بهذا الشأن ثقته وابن عمه مسلم بن عقيل، وكتب كما ذُكر إلى زعماء في البصرة يذكّرهم مقام إمامته عليه السلام ويستحثهم أن يسمعوا قوله ويطيعوا أمره؛ فكان سلام الله عليه بصدد تحشيد الأُمّة خلف قيادته المعصومة للاطاحة بالحكومة الطاغوتية المفسدة انقاذاً للدين وتخليصاً للأمّة، وإن كانت ملاحقات الحكم الاموي وتخطيطاته للقضاء السريع على حياته الشريفة إن لم يعط يد الذلة لم تترك له الفرصة للتحرك الواسع على هذا الطريق.

في ضوء هذه المعطيات وما يترتب على تسلم قيادة المعصوم لزمام الأمور في الظروف المهيأة لنجاح التجربة الإسلامية من نتائج لا تقاس عظمة لصالح الدين والمؤمنين، يكون النصر العسكري الذي يمكن لكلمة الله

في الأرض ويضع أمانة الحكم والحفاظ على مصلحة الدين والأُمّة باليد الامينة الكفوء التي لا تتحرك حركة ولا تتوقف إلا من منطلق العلم والحكمة والإيمان؛ يكون النصر العسكري مطلوباً للثورة، وشهادة من يستشهد من أجل تحقيق النصر لقيام الحكومة الإسلامية في الأرض حتى تشرق بنُور ربها العظيم وتعمر زاكية ومن عليها.

وإذا شحَّت الظروف بالنصر وكان الانتظار مَحْقاً للاسلام، وقضاء على فرص النهوض للأمّة يتعين دور الشهادة المنقذة التي تضع الحكم الطاغوتي المفسد على برميل من الزيت يحترق به قبل أن يدمّر الأُمّة ويجتث جذور مبدئها، ويتعين أن يسقط أقدس رأس لا يملك غير دمه الأزكى أن يرسم درب البعث والتحرير ويثير الحياة من جديد في عروق الأُمة.

وهذا النصر الطولي له عدته كما أنّ للنصر الابتدائي عدّته. ومن عدّة النصر بالشهادة في كربلاء ما دخل في خطط الثورة من اصطحاب أبي عبد الله عليه السلام الحرم والصبية من بيت النبوة، إعداداً للفصل الثاني في مواجهة الجاهلية، بعد فصل الشهادة حيث تأتي مهام التبليغ والإعلام والتوعية واستثمار ظروف المأساة، واكتشاف

جماهير الأُمّة ولو جزئياً لشناعة جرمها بالمشاركة أو السكوت على خنق وجودها بقتل رجلها الكبير ومنقذها الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، ومن العدّة هنا أيضاً ما حرص عليه سيد الشهداء عليه السلام من أن تكون المواجهة لجيش الضلال في المرتبة الطولية بصفوة تتميّز بالوعي والمبدئية والصلابة، ولذا سعى جدّاً لتخليص جبهة الحقّ من كل النفعيين والمترددين الذين لا يستطيعون أن يسهموا في نصر الشهادة وإن استطاعوا الاسهام في نصر الغلبة؛ ولذا تراه سلام الله عليه يخطب في من تبعه مرة بعد أُخرى ويعطيهم فرصة الانسحاب حتى ينقي الصف من الضعيف وتبقى النخبة القادرة على تسجيل موقف مبدئي صارخ بالكلمة والدم والصمود وعنفوان الإيمان. وإنك لتراه من جانب آخر يستصرخ الأحرار للحاق بقافلة الأمجدين.

انقاذ الإسلام وتحرير الإنسان هو المطلوب على طريق الهدف الأكبر المتمثل في رضوان الله؛ أن يتحقق هذا بنصر الغلبة فذاك، وإلاّ فبنصر الشهادة، والطريقان معاً على طوليتهما محل التفات الثورة وتخطيطها المبكر.

وكتاب أبي عبد الله عليه السلام إلى بني هاشم يغريهم بالنصر في صورة الشهادة، وهو نصر الأُمة والدين ولو من بعد حين، ونصرٌ عاجل ظافرٌ لذات الشهيد التي تحقق أكبر انطلاقة تحرريَّة في ذاتها بالشهادة: «**فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام**»[1].

وها هي كلمته عليه السلام في أصحابه الأشاوس تعطي شهادتهم مضمونها الحي في بعدين: بعد التحرر الذاتي الهائل الذي لا يبقى معه قصور في الذات يحول بينها وبين مواقع النبيين وملا الجنة أبداً، وبُعد الذود عن دين الله فيما يعنيه دم الشهيد من تهديد جدّي للطغاة وحكم الجاهليين في إيقاظه وإلهابه واستثارته للمخزون الثوري المطمور تحت الأتربة السوداء من إفساد الطغاة المجرمين:

«**يا كرام، هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها، وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم ويتباشرون**

(١) انظر الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم الحسيني القزويني: ٤٧.

بكم فحاموا عن دين الله وديـن نبيـه وذبّـوا عـن حـرم رسول الله»[1].

وتأتي الثورة الشعاع وهي لا تستهدف إلا عزَّ الإسلام وتحرير الإنسان لتطلب هذا الأمر بنصر الغلبة أو نصر الشهادة.

يقول السيد الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ: «إني أدعو لكم بالنصر ولكم ثواب الشهداء»[2]. يقول ذلك لعشاق الشهادة الذين يسألونه الدعاء أن يُرزقوا إياها: «إنّ الباعث على الفخر والاعتزاز هو هذه المعنويات العالية والقلوب المليئة بالايمان والإخلاص وطلب الشهادة الموجود لدى هؤلاء الافراد الجنود الحقيقيين لولي الله الأعظم. وإنّ هذا لفتح الفتوح»[3].

«بل يجب أن نقلق فيما لو لم نتمكن من أداء واجبنا الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به، يجب ألا نقلق فيما إذا

---

(١) انظر الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم الحسيني: ٢١٨.

(٢) صوت الأُمة، العدد ٢٦، صفر، ١٤٠٢ هـ.

(٣) جريدة حرس الثورة الإسلامية العدد ٣٧: ٥، ربيع الثاني، ١٤٠٢ هـ.

هزمنا من قبل الشرق أو الغرب أو الداخل أو الخارج، لأنّ الخسارة الحقيقية هي عدم التزامنا بالواجب الإلهي»[1].

نستفيد هنا فكراً إسلامياً نيراً خالصاً مقتطفاً من شجرة النبوة والإمامة، ومن ثورة كربلاء الوعي والتخطيط، والدم والشهادة.

الجواب لعشاق الشهادة من المستهام فيها أنه علينا أن نحمل روح الشهادة بين جنبينا، وأن تكون أرواحنا على الأكف في سبيل الله ليكون لنا ثواب الشهداء، ولكن علينا ألا نفوّت فرصة واحدة لتحقيق نصر عسكري ساحق يمكن لحكومة الإسلام وأطروحته في الناس من أجل أن يُصنعوا على عين الإسلام وفي رحابه الطاهرة التي تعبق بالعدل والعلم والمحبّة والإخاء وكل المعاني الخلقية الرفيعة وأسباب التقدم والكمال؛ علينا ونحن نسترخص الحياة في سبيل الله وعلوّ الإسلام أن نطلب النصر العسكري ونخطط له بأقل الأثمان.

ويبقى الاستعداد للموت المبدئي، وحبُّ الشهادة والسعي لها بقدم راسخة ويقين أكيد، والتخطيط للفوز بها

(١) الشهيد ، العدد عليه السلام ٦٨، ١٧، شوال ١٤٠١ هـ.

عندما تتطلب ذلك مصلحة الإسلام، يبقى كل ذلك مفخرة المفاخر ومادة النصر على المدى الطويل وضمانة العزّ للدين والمؤمنين في كل التاريخ؛ وإنّه لفتح الفتوح كما تقول كلمته رضوان الله عليه. ولم لا ولا نصر إذا لم تكن الروح التضحوية وحبُّ الموت في سبيل الله؟ وإنه لا يدوم نصر بعد حدوث إلا بدوام هذه الروح وسريانها في أبناء الأُمّة وتغلبها على حبّ الدنيا وكل ما يغري وكل ما يستهوي من سحرها وزينتها.

نعشق الشهادة فتح الفتوح للأُمّة من منطلق الإيمان والاخلاص، وهو فتح الفتوح لكل من كان له هذا العشق الجليل؛ فإنه يعني السمو في التفكير، والرفعة في الشعور، والتحرر من أسر الدنيا، ووله القلب بالله؛ وفي ذلك العشق انفتاح بصيرة وانطلاقة روح وزكاة قلب وعظمة ذات.

لذا فإن أمة تتوفر على هذا العشق لا تكون خاسرة وإن حالت الظروف القاهرة دون تحقيق النصر المادي أو كتبت عليها هزيمة الظاهر؛ فمن ربح ذاته فقد ربح كل شيء، ومن خسر ذاته فقد خسر كل شيء، والنفس التي تقدّم الله سبحانه على ما دونه قد بلغت نضجها؛ وخسائر الخارج لا تنال من هذا النضج والكمال ولا تثلمه.

ولنخرج إلى صورة تضع الفكرة في كلمات يسيرة؛ فالثورة إذا كانت إسلامية فهي لا تستهدف إلا عزَّ الإسلام وتحكيمه من أجل الإنسان وتكميله، وهي تدفع بالإنسان لحماً ودماً ثمناً لهذا العزِ والنصر، محققا لنفسه بهذه التضحية أكبر قفزة وجود في ذاته، وأكبر فرصة بيده لنصر دينه وأمته بعد أن لا يكون نصر إلا بالشهادة؛ والحصيلة أنّ الإسلام يضحي بالإنسان بدناً من أجله إنسانية وروحاً؛ تقديماً للباقي على الفاني، والأهم على المهم.

المحور الثاني: القيادة

الكلام هنا من أجل أن تتعلم الدنيا شيئاً من الكثير الذي تملكه قيادة الفقيه العادل الكفؤ، ومن الأكثر الأكثر مما تفيض به قيادة الإمام المعصوم من خلفاء الرسول الأعظمﷺ بالحقّ، ومن أجل أن تتعلم الأُمّة مَن تُقدّم ووراء من تسير، وأي يد تبايع، ولمن تُسلّمُ أمانةَ دنيا ودين. وأيَّ رجل تختار رائداً وأميناً على ما تملك من مقدُرات ومقدَّرات فيها وجودها الثمين.

والحديث في المورد لا يقصد أنه يكون مستوعباً مستقصياً، ولا يقارب أن يكون كذلك، وأنىّ له لو أراد ؟! ما يطرح الحديث عنه بعد أنّ من غير استفاضة: المبدئية القياسيَّة الثابتة، والرؤية الموضوعية المتقدمة.

وفي المقدِّمة يؤكَّد ما هو واضح من أنّ القضايا التي تقف وراء التحركات والثورات أحجام وأوزان، وشأن القيادات هذا الشأن نفسه، وملاءمة القيادة وعدم ملاءمتها لا بدّ فيه من قياسها إلى القضيَّة التي ترفع رايتها، فالقيادات الصغيرة لا تتحمل ثقل القضايا الكبيرة، وكل

القضايا تصغر حجماً ووزناً أمام قضية الإسلام في عمقه وشموليته ودقّته وقدسيته وامتداد آثاره؛ فليس من قضية تتّسع بقدر ما يتّسعُ له الإسلام بتنظيمه واهتمامه زماناً ومكاناً، وشعوباً وأمماً، ودنيا وآخرة، وليس مثله ما ينظر من الإنسان كل كيانه، ويستقصي كل حاجة له، وكل دافع منه، وكل طاقة فيه، ويتحمل مسؤولية صنعه وتربيته بكل أبعاده مدة حياته وقبل ولادة له وبعد وفاة، وليست هناك قضية تعدل الإسلام علميّة وصدقاً وجديّة وعدلاً وحدّية مبدئية وتمسكاً بالحقِّ على الإطلاق.

فقيادة تنهض بثقل هذه القضيّة وترتفع الى مستواها ليس في حدّ ندرتها ندرة، حتى إن لم تكن في الأصل إلا لرسول أو وصي رسول من ثابتي العصمة وكمّل البشر على الإطلاق، وإن أثبتها الدليل بالتبع وللاضطرار لمن هو الأقرب فيما له من مجمل الأبعاد الكماليّة العلميّة والإيمانية والخلقية ومحصّل الخبرة العملية من الإمام الأصل.

ولندخل الآن في الحديث عن البعدين المقصودين لهذا المحور.

١ ـ المبدئية القياسيّة الثابتة: الحاكميّة أساساً إنما هي للمبدأ الذي هو كلمة الله ونهجه وأمره ونهيه؛ فمن هو الحاكم عندئذ إلا من كان يمثّل تجسيداً كاملاً دقيقاً للمبدأ، وكان على مبدئية تامة هو بها والمبدأ على حدّ سواء ميزانُ عدل وحقّ لا ميل فيه ولا خلل، يرجع إليه في وزن القضايا والمواقف والأشخاص والمقدّمات والنتائج على الاطلاق.

ولا شخصية تمثّل الإسلام تمثيلاً كاملاً شاملاً دقيقاً وافياً كما هي شخصية المعصوم عليه السلام؛ لذا فلا إمام ـ إذا حضر ـ غيره، ولا قيادة سواه، ومزاحمته ظلم وعدوان، والتخلف عنه فسوق وعصيان؛ والمعصوم وحده هو الذي تحرز مصداقيته الكاملة مطلقاً لما في كلمة أبي عبدالله عليه السلام: «**فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله**»[1].

ولمّا كان المعصوم بتمامه من صياغة المبدأ فطاعته ومتابعته إنّما هما طاعة ومتابعة للمبدأ، وحاكميته

(١) مصنّفات المفيد، المجلد ١١، القسم الثاني: ٢٩.

حاكميته، فما هو الحاكم في النَّاس عندئذ ليس إلا المبدأ.

تلك هي المبدئية القياسيّة المطلقة، وهي شرط الإمامة في حضور المعصوم عليه السلام، وفي غيابه يكون التّنزلُ بإذن الدليل الشرعي الى مبدئية قياسيّة دونها؛ تلك المبدئية التي يدخل في قوامها بُعد الفقاهة والعدالة والحنكة والخبرة والرؤية الإسلامية في مختلف الأُمور، والمستوى النفسي المتميّز وتكامل الشخصية بكل أبعادها بحيث يتحصل من متوسط هذه المواهب والمقوّمات ما يقدّم هذا أو ذاك بعينه لموقع القيادة لتفوقِ متوسط ما هو عليه بما يدخل في صلاحية الموقع بالنسبة الى غيره ممّن تكون له تلك المعتبرات بدرجة أو أُخرى؛ ومن صلبها الفقاهة والعدالة.

وللمبدئية في صاحبها تجليّات لا تخفى في ساحة العمل وعند التحدِّيات. ولنتابع بعضاً من هذه التجليات إسترشاداً واستنارة في الإمام المعصوم الحسين عليه السلام، وفي الفقيه الورع الكفؤ القائد الراحل قدس سره:

أ ـ التحمل العلمي للمبدأ: الإمام الحسين عليه السلام واحد من الأُمناء التّامين على خزائن علم الرسالات وهو وارث النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وهو من ثقل العترة الذين ثبت قول الرسول صلى الله عليه وآله، فيهم: «**إنّي تركت فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي؛ ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**»[1]. وهو الداخل في أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ـ ومنه الجهل ـ وطهّرهم تطهيراً، فلا كلام في تمثيله عليه السلام الإسلام تمثيلاً علمياً كاملاً، وفي مرجعيته المطلقة في تلقي واقعه القطعي عقيدة وأحكاماً ومفاهيم وخلقاً وتفسيراً وتأويلاً.

وأما السيّد الإمام فالقدر الذي لا كلام لأحد فيه هو أنه من الصفّ الأمامي من فقهاء الطائفة الذين لا يعد لهم فقهاء، وواحد من متضلّعي الفقه والأُصول، وغوّاصي الفلسفة، وهو ربّان في العرفان، ومن أبرز من تهيأ له فهم

(١) انظر ميزان الحكمة ١: ١٩١، عن البحار وغيره.

الإسلام الشامل في أبعاده المتعددة في صُورتها المترابطة بعيداً عن النظرة التجزيئية الضيّقة داخل الإطار الفقهي الخاص، أو الإطار الإسلامي العام، وبعيداً عن مؤثرات الهزيمة النفسية وضيق الأُفق الموضوعي والنظرة التقليدية الساذجة، مع استرفاد البصيرة الفقهية من نقاوة الروح وصفاء السريرة وصدق النية؛ وقد أثرى المكتبة الإسلامية بكتبه العلمية وكتاباته المعمَّقة ونتاجات قلمه المبدع والمدقّق في مجالات العرفان والأخلاق والفلسفة والفقه الاستدلالي وأصول الفقه والحكومة والشعر[1]؛ هذا الى جانب خطبه وخطاباته طوال عمر حركته المباركة وثورته المظفّرة وحكومته العادلة، وفيها الحكمة، والتربية، والفهم الاجتماعي الدقيق، والنظرة السياسيّة الحاذقة، والبعد الرّوحي المتألق.

ب ـ الإندكاك في المبدأ: من أبرز ما يظهر المبدئية النفسية الصادقة في القائد أن تغيب في مواقفه وتأكيداته شخصيته وراء شعاع المبدأ، لا أن يغيّب شمس

(١) انظرمجلة الثقافة الإسلامية: ٦٨ ـ ٦٩، ربيع الأول، ربيع الثاني، ١٤١١ هـ.

المبدأ وراء شخصيته؛ فالذات التي تتصنَّم وإن رفعت راية المبدأ فإنها تتخذ من ذلك طريقاً لاستراق عظمة المبدأ وقدسيته ومهابته في العقول والنفوس، حتى يكون الاحتلال الكامل لمواقع المبدأ المتقدمة، فتكون القدسية والعظمة قدسية للقائد أولاً وبالذات ثم للقضية ثانياً وبالعرض إن لم يقتصر الاجلال والتعظيم على شخص القائد وينسَ المبدأ. أما الذات التي تزكّى فأوّل ما تطارده في نفوس الأتباع أن تتعظم ليصغر المبدأ، وأن تُذكر لتُنسى الفكرة، وأن يتجاوز بها حدّ الفقر والإمكان ويُرتفع بها عن صعيد الرقيّة وذل العبودية؛ فكلما كاد أن يتسلل إلى نفوس الأتباع شعور كاذب برد النصر إلى تدبير القائد وعظمة مواهبه، انقضّ على هذا الشعور يحطّمه وينسفه ويُحلّ محلّه توحيد الله، ويرد العقول والقلوب لرؤية بارئها: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلهُكُمْ إِلهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّه أَحَداً**﴾[1]، ﴿**قُل لاَأَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ**

(١) سورة الكهف: ١١٠.

﴿الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَـا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّـي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَـداً* قُـلْ إِنِّـي لاَ أَمْلِـكُ لَكُـمْ ضَـرًّا وَلاَ رَشَداً﴾[2].

نعم، القيادة الإسلامية الكفوءة الصادقة تبهر وتُسحر، فما لم ير المبدأ الذي يمدها بالعظمة والجمال يقف النظر عنـدها ولا يطلـب المزيـد فيقـع فـي مـسؤوليتها أن تُـشهد العشاق جمال المبدأ الـذي يمـدها وعظمتـه التـي تـسترفد منها بمـا هـي فـيض الله ونعمـاؤه ليكـون التوحيـد ويكـون الإخلاص والتسبيح والحمد لله.

لذا ترى الضراعة والاستكانة وإظهار الفقر والـضعف أمام الله تبارك وتعالى سيرة دائمة لكل قائد إسـلامي حقّ من رسول أو إمام أو فقيه، وفـي كـل مواقـع القيـادة علـى تفاوتها إسراراً وإجهاراً، ولكل من الأسرار والإجهـار فـي المورد شأن وأي شأن؟!

وهذا أبو عبدالله عليه السلام يقدّم لنا دروسـه الثّـرة فـي هـذا الميدان الكبير؛ فمن أوّل نصوص الثورة هذا القول لأخيـه

(١) سورة الأعراف: ١٨٨.
(٢) سورة الجن: ٢٠ ـ ٢١.

محمّد بن الحنفيّة: «**ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**»[1].

وقال وهو يسلك الطريق الأعظم الى مكّة في خروجه من المدينة لا يلوذ بفرار إلى طريق غامض لواذ المرتجفين: «**لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله، تالياً قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[2]» مبدياً ضعفه الى الله والخطر الموضوعي الذي يتهدده، معرضاً عن ذكر صلابته وعلوّ همّته وإبائه.

وقال وهو يخطب خطبته اللاهبة في مكة: «**رضا الله رضانا أهل البيت**» فما ينبغي أن يتوجّه إليه الناس كلّ الناس إنّما هو رضا الله الذي يقع رضاه عليه السلام في طريقه، وما على القلوب أن تنشغل به عمن سواه؛ إنّما هو الله الذي لا يُطلب إلا رضاه، ورضاً فيه رضاه توصّلاً إليه.

---

(١) انظر الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم القزويني: ١٠٠ــ ١٠١، عن مقتل الخوارزمي ١: ٨٨، الفصل ٩.

(٢) المصدر الثانوي السابق، والآية ٢١ من سورة القصص.

ويقول في خطبته الثالثة أمام الحرّ وجنوده: «**ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم**»[1] واللواذ بالله، وإليه اللجأ والانقطاع.

وها هو يمدُّ يد الضراعة إلى الله تبارك وتعالى في أصحابه وأهل بيته: «**اللّهم إنا عترة نبيك محمد**ﷺ **وقد أُزعجنا وطُردنا وأُخرجنا عن حرم جدّنا، وتعدّت بنو أميّة علينا. اللّهم فخذ لنا بحقّنا وانصرنا على القوم الظالمين**»[2].

وعندما يجد تكاثر القوم عليه ينقطع إلى ربه قائلاً: «**اللّهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة...**»[3] واسمعه وهو يختم خطابه في الجيش الأُموي بلغة المستخفّ بالأعداء وما يتهددونه به من الموت مطمئناً إلى رعاية الله ولطفه، متعلّقاً بمحبّته وطاعته: «**وإن لم تقبلوا منّي العذر ولم تعطوا النَصَف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ**

---

(١) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم القزويني: ١٠٠ ـ ١٠١، عن الكامل ٣: ٢٨٠، والطبري ٤: ٣٠٠.

(٢) المصدر السابق: ١١٣، عن مقتل الحسين عليه السلام للأمين: ٩٢.

(٣) المصدر السابق: ١٦٢، عن الكامل لابن الأثير ٣: ٢٨٦.

غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾[1]، **﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَـبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾**[2][3].

وعندما يأتي جوابه أبيّاً صارماً على قولة قيس بن الأشعث: «**أو لا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه**» قائلاً: «**لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار** العبيد، تجده يعوذ بربه الكريم متذللاً بين يديه: «**عباد الله إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب**»[4].

ذلك هو الإمام الحسين عليه السلام لا يكسره أمام الخلق شيء، وكله انكسار أمام الخالق، وهو الصمود والفولاذية موقفاً وكلمة أمام تحديات المبطلين البطَّاشين، إلا أنه القلب المرتجف المرتعش بين يدي الله عزّوجلّ على مرأى العدو والصديق، مظهراً ضعفه ووهنه أمام ربه في أشد المواقف استفزازاً للأنا معلناً حقيقة أنه لا حول ولا

---

(١) يونس: ٧١.

(٢) الأعراف: ١٩٦.

(٣) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم القزويني: ١٦٢، عن تاريخ الطبري ٤: ٢٢٩، والكامل ٣: ٢٨٧.

(٤) المصدر السابق: ١٦٧، عن الطبري ٤: ٢٢٠، الكامل ٢: ٢٨٧.

قوة إلا بالله. وحتى عندما يعلن إباءه وشموخه الكبير فيقول: «**هيهات منا الذلة**» إنّما يرجع الأمر إلى الأدب الذي أدّبه به ربّه والرعاية التي يرعاه بها: «**يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت...**»[1].

وهذا التغييب للشخصيّة وراء عظمة القضيّة تطالعنا به مواقف الإمام الراحل وهو يعكس أنوار السيرة المعصومة من خلالها، انظره متمشياً مع قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّه وَالْفَتْحُ* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّه أَفْوَاجاً* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً**﴾[2] إذ يلفت نظر شعبه أن ليس له ولا للشعب في الأصل من الأمر شيء، فيخاطبه: «علينا أن نشكر الله الذي مَنّ علينا فأنعم على هذا البلد بذرّة من قدرته الأزليّة فأصبحت قدرتكم اليوم قدرة إلهية لا تقبل الضرر»[3] وانظره ينطلق بالافئدة إلى بارئها دون أن يقطع عليها طريقها إلى الحق تبارك وتعالى: «إنّ الله هو الذي غيَّر قلوب أبناء هذا الشعب بين عشية وضحاها، وجعل الشعب كله يقف

(١) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم القزويني: ١٧٤، عن الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٤.

(٢) النصر: ١ ـ ٣.

(٣) رسالة الثورة الإسلامية ٥: ٢٩ صفر، ١٤٠٤ هـ.

بوجه القوى الشيطانية الكبيرة ويكفّ أيديها عن بلادنا، وإنها القدرة الإلهية التي ألهمت أعزاءنا الصبر والصمود»[1] ويمضي قائلاً بعد كلمات: «وإنها القدرة الإلهية التي جعلتكم أيها الشباب في خدمة المستضعفين وفي مؤسسة المستضعفين.. إنّ الله تبارك وتعالى بقدرته وعنايته وهب القوة لابناء شعبنا وجعلهم يعملون في رحابه» ويقول في هذا السياق: «وإنها لقدرة الله تبارك وتعالى التي جعلت شبابنا يعشق الشهادة»[2].

وها هو السيد الإمام يتجاوز بآمال الناس وأمانيهم كل الأوزان والأحجام ليشدّها بما لله الأمر وحده: «فلو غاب رجائي، ولو غاب الآخرون فإنّ الله موجود»[3] وممّن يعنيهم رضوان الله عليه من الآخرين نفسه وتغاضى عن هذا الذكر لما يتضمنه من الالتفات إلى النفس وخصوصيتها.

وها هو يطارد الصنمية في شعور القوات المسلحة: «وعلى قواتنا المسلحة في جبهات القتال أن تعلم بأنها تقاتل في سبيل الله لا من أجل رئيس الجمهورية ولا من

(١) صوت الأُمة، العدد ٢٦: ٨ صفر، ١٤٠٢ هـ.
(٢) المصدر السابق.
(٣) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٣: ٢٩، ذو الحجة، ١٤٠١ هـ.

أجل رئيس الوزراء، ولا من أجل الآخرين»[1] وهو يدخل هنا نفسه أيضاً في الآخرين امعاناً في صرف النظر عن الذات.

ولتقارن الأُمة في كلّ بلادها بين هذه الكلمات التوحيدية وبين الشعارات التي تغرس في أعماق وأفئدة أبناء القوات المسلحة هنا وهناك الولاء للحزب أو الفرد، وإذا ذكر الله معه فإنما يذكر ذكراً إعلامياً توصليّاً.

واسمعه مرة أخرى في هذا السياق: «إنّ جمهوريتكم الإسلامية خالدة لأنّ سندها الله، ولأنكم أقمتموها بسواعدكم القويّة من أجل خدمة دين الله؛ فهي لذلك ستبقى إلى الأبد ولا خوف عليها من أي شيء»[2].

نَعْم القيادة قيادتان: قيادة مبدئية مؤمنة تعطي كل شيء من أجل الله للأُمّة والمبدأ، وتربط النصر بالله ثم الأُمة والمبدأ، وتتوارى عن الشاشة كي لا ترى إلا عظمة المبدأ؛ وقيادة أرضية نفعية تأخذ ظلماً كل نفع، وتدّعي زوراً كل نصر. والظهور لها كذباً لا لأُمّة ولا مبدأ؛ وما النصر إلا من تدبيرها، وما العزّ إلا من فيضها، وما في

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٣: ٢٩، ذو الحجة، ١٤٠١ هـ.
(٢) صوت الأُمة ، العدد ٢٠: ٩، ذو القعدة، ١٤٠١ هـ.

أيدي الناس إنما هو شيء من فضلها؛ فهي رب الأرباب ومسبب الأسباب، ومن قال غير ذلك هلك.

ج ـ الذوبان حبّاً في المبدأ: الذات التي ترى ذاتها مفصولة معنىً وقيمة حاضراً ومستقبلاً عن المبدأ قد تلتقي مصلحةً معه وقد تنفصل؛ فإن وقعت مصلحة القضية جسراً لمصلحتها فذاك، وإلا فلا أُمّة ولا مبدأ ولا قيم؛ لذا ما لم تذب القيادة حبّاً في المبدأ ويملك عليها وعيها وشعورها، ويتمثّل وجودها في وجوده فإنما يكون الظهور لها على حسابه، ويكون الحساب لمصلحتها لا مصلحته، ولشخصيتها لا شخصيته؛ فذاك التغييب لشخصية القيادة في شخصية المبدأ، والتأكيد لحجمه ووزنه وقيمته والتفاني في وجوده إنّما هو شأن قيادة التحمت وجوداً بوجود المبدأ وهامت فيه، ولم ترلها وجوداً ولا حياة على انفصال منه؛ وإذا كانت كذلك لم يكن مبلغها أن تهون عليها التضحية في سبيله، فحسب وإنّما ترى موتها حياة إذا كان فيها حياته فيهنأ الموت وتلذ المتاعب.

ومن هنا رأى سيد الشهداء عليه السلام شهادته وشهادة أصحابه فتحاً: «**ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح**» ورأى من

شـدائد الالـم الجـسدي والنفـسي فـي ظـل نـشوة الـروح وغبطتها أمراً هيناً: «**هوّن ما نزل بي إنه بعين الله**»[1] وكـان يعيش الروحيَّة الناطقة بمؤدى هذين البيتين:

تركت الخلق طراً في هواكا   وأيتمت العيال لكي أراكا
ولو قطعتني في الحب ارباً   لما مال الفؤاد إلى سواكا

ذلك الحب العارم لم يُبقِ في يد الإمام الحسين عليه السلام شيئاً إلا وضحّى به في سبيل الله، ومن أجل عـزة الإسـلام سعيداً رضيّاً وأن تتفنّى روحه الطاهرة بذكر الله الجليل الجميل الكبير المتعال، وهو على مقربة من لفظ النَّفَس الأخير مسبِّحاً مقدّساً حامداً شاكراً واثقاً راغباً لائذاً متملّقاً موحّداً صادقاً، في مناجاة متأججة تنطلق لاهبة من الروح الصاعدة الى رضوان من لم يشغلها يوماً هم عن رضاه.

وتلتقينا في تلميذ عاشوراء وخريج مدرسة الحسين عليه السلام السيد الإمام قدس سره روح الفداء في سبيل الله بلا شرط، والتضحية من أجل الإسلام بلا حد؛ ولقد واصل الدرب الطويل لم يهن ولم يكل ولم يعله سأم ولا ضجر ولا فتور، وما شكى يوماً من فداحة الخسائر المادية أيام الثورة، وأيام الحرب المفروضة، وفي عمليات الاغتيال،

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٣: ٢٩، ذو الحجة، ١٤٠١ هـ.

بل كان يرى في كل ما يحدث من تضحيات وعطاء كبير مفخرة وعزاً، وفي روح الشهادة المتحفّزة تقدّماً ونصراً وحياة ومجداً، وما كثرت التضحيات الهائلة في نظر له، وإنما دأبه أن كان يستقل الكثير في سبيل الله.

يقول قدس سره في صبيحة اليوم الثاني لاستشهاد محمد علي رجائي ومحمد جواد باهنر ـ رئيسي الجمهورية والوزراء ذاك الوقت ـ: «فالشعب الذي يعتبر نفسه وكل ما يملك لله سبحانه وتعالى ويعتقد بأنّ الرحيل عن هذه الدنيا نحو الخالق والمحبوب هو الهدف والمراد، مثل هذا الشعب لا يمكن لأحد أن يتحداه مطلقاً»[1] وسيدنا الكريم من أوائل أبناء الشعب الذين يعتقدون بأنّ الرحيل عن هذه الدنيا نحو الخالق والمحبوب هو الهدف والمراد.

ويضيف في السياق نفسه: «فخطأ العدو يكمن في عدم معرفته بالإسلام، فالذين يحتضنون الشهادة ويعانقونها كما يعانقون الأحبّة؛ مثل هؤلاء لا تستطيع أي قدرة الوقوف بوجههم» فالشهادة التي تعني أكبر طفرة في وجود الذات وتحولها إلى اشعاع من اشعاعات الإسلام،

(١) رسالة الثورة الإسلامية ، العدد ٣: ٣٧، ذو القعدة، ١٤٠١ هـ.

وتعني لقاء أبديّاً روحياً بجمال الله وجلاله، وفوزاً برحمته ورضوانه هي هدف يُطلب لا مخوف يُحذر.

والتضحيات عنده(رض) في سبيل الله بلا حدّ كما تقرره كلمته: «ويجب أن ندافع عن هذا الدين ولو قتلنا جميعاً»[1] قتل للجميع في إيران، أو في أي بلد آخر فيه حياة الدين وانقاذ الأرض من الضلال، وفيه رضا الله، وعزّ الإسلام وهيبته وحيث لا تبديل يدخل في القليل ولا يستكثر، ولا محذور ولا مخوف حيث يكون القصد لوجه الله والعاقبة رضوانه: «إنّ الله معنا؛ نحن نعيش مع إسلامنا ونعمل لله، ولماذا يخاف من يعمل لله؟ وممّن يخاف من يسير في طريق الله؟»[2].

والجهاد مستر وتمزيق الاجساد لا يمثّل تهديداً ما كانت مصلحة الإسلام في المواجهة: «نحن لن نخضع ساعة واحدة للظلم. دع الأسلحة الأمريكيّة والإسرائيليّة تمزّق أجسادنا، فنحن مصمّمون على الجهاد ولا يُرعبنا أي شيء أبداً»[3].

---

(١) صوت الأُمة، العدد ٢٠: ١١٨، ذو القعدة، ١٤٠١ هـ.
(٢) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٢٧: ٤٠، ذو الحجة، ١٤٠٣ هـ.
(٣) صوت الوحدة الإسلامية، العدد ١٢٢: ١٥، ١٤١٠ هـ.

وإنّ الشهادة لغنيمة الأحرار ومحطّ أمل المتّقين من ذوي الشهامة، ولا وحشة على الطريق؛ طريق الله ولقائه ولو خلا من السائرين: «لقد وضعت دمي وروحي الرخيصة على الأكف في انتظار الفوز بالشهادة العظيمة في سبيل الواجب والحقّ وأداء فريضة الذود عن حياض المسلمين. ولتكن القدرات والقوى الكبرى وعملاؤها على ثقة بأن الخميني سيواصل طريق الجهاد ضد الكفر والظلم والشرك وعبادةِ الأصنام حتى لو ظلَّ وحيداً»[1].

ويظل الإسلام ومقتضى مصلحته هو المنظور الوحيد في التعامل مع الأحداث؛ وإذا هدد الإسلام في صلب وجوده لم يُستثن ثمن لانقاذه. يجيب(رض) على مجزرة الفيضية عام ١٩٦٣ م قائلاً: «إنّ مبادئ الإسلام معرّضة اليوم للخطر، القرآن والدين في خطر، ومن هنا فالتقية حرام والكشف عن الحقيقة واجب مهما كلف الأمر»[2].

(١) البديل الإسلامي ، العدد ٣٤، ١٦/ ١١/ ١٤٠٩ هـ ـ عن مجلة الوحدة الإسلامية.

(٢) صوت الوحدة الإسلامية، العدد ١٢٢: ١٥، ١٤١٠ هـ.

د ـ **التحلي بأخلاقية المبدأ**: أخلاقية المبدأ قد تكفّ اليد عن نصر قريب غير مكلف، وتفرض الاستعلاء على فرص كبيرة مواتية حفاظاً على الأصالة، وابقاء على النقاوة، وهي سر الخلود وأساس الدور المطلوب من المبادئ.

وقد ترفَّع رسولُ وعي الحسين وأخلاقيته الكريمة مسلمُ بن عقيل على نصر فيه رائحة الخيانة، وسقى شهيد الطف عطشاناً أعداء جاءوا يطلبون دمه ظلماً من ماء يمدُّهم ببقاء الحياة، ووقف الثائر الحسيني وقد دكَّت صواريخ صدام مدنه وقراه وحصدت الآمنين، يذود عن كل مدينة وقرية في العراق قذيفة تنالها من جنود الإسلام، أو موتاً يلحق بريئاً واحداً، وإن صنع ضرب المدن العراقية ضغطاً على الجيش المقابل.

«إنّ انتقامكم يجب أن تأخذوه من صدام ومن حزب البعث، والآن أنتم في عملياتكم تأخذون الانتقام احذروا من أن تطلقوا قذيفة واحدة على مدنهم، إنَّ مدنهم هي كمدننا، فكما هي بهبهان مظلومة كذلك هي البصرة مظلومة أيضاً ومندلي مظلومة؛ إنهم كلهم مظلومون»[1].

(١) الشهيد، العدد ١١٧: ٢٠٣، ربيع الأول، ١٤٠٤ هـ .

وتلازم الأخلاقية الإسلاميّة السامية هذا القائد الرسالي الفذّ في أصعب الظروف وأشدها ضغطاً، وفي الوقت الذي أجمع فيه الاستكبار العالمي على القضاء على إيران الإسلام وثورتها الإسلامية المباركة عن طريق العدوان الصدامي المخطط والمدعوم عالمياً؛ فلا هذا الإجماع والدعم، ولا التهور والانفلات الجنوني في العدوان الصدامي على المدنيين الآمنين بأسلحة الفتك والدّمار، وخرقه لكل الموازين والقيم إلا قيم الغاب وحضارة الغرب الحيوانية المتهتكة، فلا هذا ولا ذاك استطاع أن يحيد بالقائد المبدئي الصلب عن أخلاقه وقيمه وتساميه: «نحن يجب أن نحفظ الجوانب الإنسانية حتى الموت والشهادة»[1]، «إنني أريد أن أقول إنّ حراسنا هم أعزاء جدّاً علينا، وكذلك هم القوات المسلحة، ينبغي أن يعوا وأن يعرفوا أنّ السلاح الذي يحملونه يجب أن لا يصحبه غرور»[2].

إنَّ الشخصيّة الفولاذية هي التي لا تنهار أمام عدو وبطشه، ولا تستطيع استفزازاته أن تميل بها شيئاً ما عن

(١) الشهيد، العدد ١١٧: ٢٠٣، ربيع الأول، ١٤٠٤ هـ .
(٢) الشهيد، العدد ١١٧: ٢٠٣، ربيع الأول، ١٤٠٤ هـ.

خط مبدئيتها؛ أمَّا الذي يستطيع أن يصمد ويحارب ولكن بغير قيمة فهو ضعيف منهار؛ فالسيد الإمام كبير جدّاً وحديدي جدّاً بكل معاني الكلمة وأبعادها، وإنه ليرى القوة كل القوة في الوقوف مع المبادئ مهما كلف الأمر وأن الضعف والإنهيار في أن يستفزّك عدوك للتخلي عن قيمك: «إن قصف المدن الايرانية واستشهاد أعزائكم يجب أن لا يفقدكم السيطرة على أعصابكم وتندفعوا الى الانتقام لذلك... ويجب أن تدركوا جيداً بأن عليكم أن لا توجهوا حتى رصاصة واحدة الى المدن العراقية»[1]، «وإنني أقول لاولئك الأبطال الذين ينزلون الضربات الساحقة بصدام ومرتزقته بأن قوتكم وقدرتكم يجب ألاّ تكون دافعاً للانتقام خلافاً لما تنص عليه الأحكام الإلهية»[2] وما أروع ما تسجله كلمته الآتية في نفس السياق من صرامة مبدئية وصدق رسالي وخلق نبوي كريم، يأبى أن يطلب النصر بالهزيمة والحقّ بشيء من الباطل الوبيء: «إنّ الجمهورية الإسلامية ستواصل التزامها بالجوانب الإسلاميّة والإنسانية مهما كلف الأمر حتى لو كتبت لها الشهادة أو الموت على هذا الطريق، فإنّ جمهوريتنا جمهورية إسلامية وإن الإسلام هو الذي

(١) صوت الوحدة الإسلامية، العدد ٤٦، ٢ محرّم ، ١٤٠٤ هـ.
(٢) المصدر السابق.

يحكمها وإنّ المقاييس لدينا هي مقاييس إسلامية بحتة»[1].

هـ ـ الشدة في ذات الله: لا تكون مبدئية ما لم تكن نفس تتحمل ثقل المبدأ في كل الظروف، وتستعصي على المهادنة للقريب والبعيد في سبيله، وتتمرد على الرغب والرهب في الذات وفي الحبيب وفي الصديق وفاء للامانة ونهوضاً بالمسؤولية، ومستوىً آخر هو الأليق بموقع القيادة ذلك الذي لا يجد أي معاناة داخلية وهو يقدِّم مصلحة المبدأ على كل شيء؛ لأنّ أي شيء لا يملك أن يزاحم موقع المبدأ في نفسه أو يقاربه؛ فكل ما له حب واحد، واحترام واحد، هو منبع كل حب وكل احترام آخر؛ ذلك هو حب المبدأ واحترامه المترشح عن حب الله وإجلاله.

والقيادة أمر ثقيل مرهق للعظماء، أن يتحمله متحمل فمن ذلك المستوى، أو ممّن لا يأبه لدين ولا معيار عدا هواه وسفهه.

مضى الإمام الحسين عليه السلام لا يلوي على شيء في طريق الشهادة وقد حاولت دنيا الأعداء والأصدقاء وشفقة

(١) المصدر السابق: ٧.

المشفقين، وشماتة الشامتين، وأمنيات المغرضين، وعويل أرامل المستقبل ويتاماه، وتخذيل المخذّلين، وخيانة الخائنين أن تستوقفه في نقطة وأُخرى من الطَريق؛ إلا أنها لم تجد منه الرجل الذي يسمع شيئاً من ذلك فضلاً عن أن يسبب له موازنة ومراجعة.

وهاهو قائد الثورة الشعاع لا يزايل بصره مرضاة ربه، ولا يرمي بطرفه إلى غير أمر الله ونهيه، وكأنه ليس في دنيا الناس برغائبها ومخاوفها، وما تعارفت عليه من مطابات وتمنيّات ومجاملات تهدم من المبدئية ولا ترمّمها.

هذه كلمة، وكم تحمل هذه الكلمة من انقضاض عنيف على المألوف الذي قد يؤلم الكثير من الطيبين طيبة بلا دقة أن يتجاوز، فكيف بهذا الانقضاض الشديد: «وأخيراً يجب أن أقول هذا الكلام والله يعلم بذلك، بأنني لست شديداً على النَّاس العاديين بقدر ما أكون شديداً على علماء الدين الفاسدين. فالساواك عندي أكثر احتراماً من علماء الدين المنحرفين»[1] وكلمة أُخرى موجهة للسيد رجائي الذي يضع فيه ثقته: «في هذا اليوم يجب أن أقول شيئاً إلى السيد رجائي كالذي قلته إلى الرئيس

(١) الشهيد، العدد ٢٨٥، ذو الحجة، ١٣٩٩ هـ.

السابق؛ إن منصب رئاسة الجمهورية سيؤدي إلى الضلال إذا أصبح همّاً دنيوياً لنا»[1]. ويضيف مخاطباً له: «لقد كنت بالأمس رئيساً للوزراء وقبلها وزيراً وقبلها معلّماً وقبلها طالباً ولا يمكنك التنبؤ بما يصيبك بعد ذلك فلربّما انفجرت هنا قنبلة وقُضي على الجميع. إذا كان الأمر كذلك فلماذا يختلف الإنسان قبل وبعد تصدّيه لمنصب رئاسة الجمهورية؟ إنّ من دخل نور التوحيد إلى قلبه يرى جميع العالم شيئاً صغيراً جداً أمام عظمة الباري عزوجل»[2] ويقول في السياق نفسه: «فلو لم يعمل رئيس الجمهورية طبقاً للاسلام فإن ثلاثة عشر مليوناً سيحاسبون في اليوم الآخر، وإذا وطئت قدماك طريق الضلال فإنّ الثلاثة عشر مليوناً سيهتفون غدا بالموت لك»[3].

هذه مساحة وفي مساحة أُخرى يقول لرسول البابا يوحنا بولس الثاني: «لماذا لا يفكر قداسة البابا في حماية الشعوب المستضعفة في العالم»[4]، «وكنا نتوقع أن يسأل كارتر ويستجوبه لماذا سلطتم هذا الشخص أي الشاه

(١) الشهيد: ٢، ١٨، شوال ، ١٤٠١ هـ.
(٢) المصدر السابق: ٣.
(٣) المصدر السابق: ٣.
(٤) الشهيد، العدد ٣٠: ٧، ٨، محرّم، ١٤٠٠ هـ.

المخلوع على هذا الشعب؟ وأن يسأل كارتر الآن لماذا أخذتم شخصاً خان وأجرم خلال أكثر من ثلاثين عاماً واحتفظتم به؟ وتريدون التآمر من هناك؟»[1].

وكانت من السيد الإمام فتوى ليس غيره أعلم بما تكلّف من ثمن، ولكنه الرجل الذي لا يغلو في نظره من أجل عزة الإسلام والذود عن حماه ثمن، فانطلق في فتواه باعدام سلمان رشدي مبدئيّاً، وثبت عليها فولاذيّاً، وميّزته في هذا الموقف ككل موقف له الخشونة الصلبة في ذات الله، وقد وهم الكفر العالمي أنّ إعلامه ومختلف تهديداته وضغوطه يمكن أن تردّ قراراً لسليل الحسين عليه السلام وراءه وعي مدرسته وتقواها وعزيمتها، وكأن كلمات القائد الكبير أرادت هزءاً بالكفر حينما قال: «إنّ الاستكبار العالمي يتصوَّر أنه إذا جيء باسم السوق المشتركة والحصار الاقتصادي فإننا سنتراجع ونغض النظر عن تطبيق الأحكام الإلهية»[2]، واستبق الأحداث محذّراً ضعاف النفوس من انهيار مستقبلي أمام لغة الأرض وحساباتها: «إنني أخشى أن يأتي محللو هذه الأيام بعد

(١) الشهيد، العدد: ٨.
(٢) العمل الإسلامي، العدد : ٢٩٢، ١٤٠٩ هـ.

عشر سنوات ليقولوا إنّ حكم الله ـ يقصد في حق سلمان رشدي ـ كانت له آثاره وتبعاته السيئة على علاقاتنا مع السوق الأُوربية المشتركة والدول الغربية، وأنه كان ينبغي علينا أن نغض النظر عن الذين وجّهوا الإهانة والإساءة للإسلام»[1].

ذلك هو الإمام القائد الذي لا يفوت وعيه أي شيطان مارد وراء القذر سلمان رشدي، وأي تحطيم أريد لهيبة الإسلام، وأي اختبار استهدفه الأشرار. والرجل الذي لا تضعف عزيمته أن يواجه الاستكبار كله، ولا يكبر تقواه أن لا يخشى إلا ربَّه. عشقه لله وثقته به تجعلانه في مواطن الرضا الإلهي لا يسأل: مَنْ سيضاده؟ ولا ما هي الخسائر الدنيوية المترتبة على موقفه؟ وممّن تكون التخطئة وممّن يكون التصويب؟

و ـ **التسليم والرضا**: من القيادات من يتمتع بالمعنويات الكبيرة ما دام نصر وتفوّق، وإذا كانت هزيمة استولى عليه ما يستولي على الصغار من الاندكاك، وقد يؤدي به الأمر إلى الانتحار؛ ذلك نمط من القيادات أكبر

(١) العمل الإسلامي، العدد : ٢٩٢، ١٤٠٩ هـ.

ما في طموحه أن ينتصر، والنصر عنده غلبة خارجية فيها الظهور والمكسب المادي والانتفاخ.

وأما الذين لا يرون لهم نصراً إلا في مرضاة الله، ولا هزيمة إلا في غضبه فلا يصغرون بشيء ما داموا على طريقه، وكل سعيهم أن يؤدوا حقَّ المولى، ويستفرغوا الوسع في نصرة دينه ليستقبلوا النتائج الخارجية من بعد ذلك لهم أو عليهم برضاً وتسليم، مواصلين السعي ما ملكوا جهداً على طريق الله. ومن سخط وهو لا يجد باباً مفتوحاً على ما يرغب ذاب وانفجر وانتحر، وهذا لا يأتي على مجاهد في سبيل الله وفيّ واخلص وإن أحاطت به الهزيمة من كل صوب لأنّ ما في وعيه وشعوره أنه في موطن الشكر لما وفّق، وأما النصر الفائت فهو أمرُ ربّه الذي لا يتحمل هو ضمانته، ولا يشك في قدرة الله عليه وحكمته في تأخيره.

هذان التسليم والرضا سمتان بارزتان في القيادة المبدئية يحفظان منها توازنها دائماً، ويبقيانها على الوقار، ويحميان معنوياتها من التصدع، فلا تعرف من هزيمة الداخل شيئاً، ولا من شعور الخسارة ولو فتيلاً.

وهذه وقفة مع أبي عبدالله عليه السلام في عاصفات الشدائد: «**كأني بأوصالي تقطِّعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشا جوفاء وأجربة سغبى لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت**»[1].

وفي جواب كلمة الفرزدق: «قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية» قال: «**إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته**»[2] والمطلوب كل المطلوب عنده عليه السلام الاستقامة على الدرب وأن لا ينحدر حدث مهما طغى بالمرء عن الخط.

وجاء من كلماته سلام الله عليه في اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة في الدنيا وقد اجتمعت عليه كل أصناف الآلام ولم تبق إلا روحه الطاهرة القدسية لم يمسسها ضنىً، ولم تنل منها الكوارث فكانت منبع الصبر

(١) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبد الكريم القزويني: ٧٧، عن مقتل الحسين للأمين: ٦٣.
(٢) المصدر السابق: ٨٢، عن الطبري ٤: ٢٧٨.

والاحتمال ومحل الرضا والاطمئنان؛ جاء من كلماته: «**صبراً على قضائك يا رب لا إله سواك يا غياث المستغيثين، ما لي رب سواك ولا معبود غيرك. صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له...**»[1] والكلمة تتجاوز الصبر والنهوض بثقل الآلام والهموم بكفاءة، إلى الاقرار بالمنِّ من الله والعناية واللطف: «**ما لي رب سواك**»، فالمقام عنده عليه السلام وهو من أشد الكُرَبِ مقام اعتراف بالجميل الإلهي حيث الربوبية المتفردة والامداد والتدبير والعناية والإكرام، ومقام التوحيد العبادي الذي ينطوي على الشكر الخالص والحمد الجليل والثناء الجميل والتكبير والتقديس والتنزيه.

وينطلق الإمام الراحل في التسليم لبارئه والرضا بقضائه وقدره من عبودية الكائنات المحضة المطلقة للمالك الحقّ الذي لا تخرج من ملكه ذرة ولا ما هو أقل. وفي ظل هذا الوعي المتجذر والشعور المتمكن الضارب تخف على النفس الهلوعة آلامها وتفقد النوازل الثقيلة وزنها: «إنّ ما يخفف لوعة هذا المصاب وفداحته هو أننا

(١) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالكريم القزويني: ٢٥٢، عن أسرار الشهادة: ٤٢٣، ورياض المصائب: ٣٣.

لا نملك شيئاً من أنفسنا وأننا لله وأنا إليه راجعون؛ وكل ما نملكه أمانة من عند الله تفضّل بها علينا ونعود كلنا إليه ثانية»[1].

وكيف يسخط عبد لم يأت عليه آن يملك فيه ممّا أوتي من نفسه وغيره شيئاً إذا ما استردَّ المالك ما آتى عدلاً وحكمة ولطفاً؟!

ما ينبغي أن يقال هنا هو أنّ مهمات القيادة مهمات ثقال وأنّ آلام الموقع آلام تدك الجبال، فإما قائد لا يشعر بمحنة ما سلمت له نفسه وشهوته، وذاك في راحة البهائم حتى يحاصر الخطر حياته ومنصبه فيكون الانهيار والتضعضع، وإما قائد يحمل همّ الأُمّة، ويشعر بكل جراحاتها لكن بقلب كبير يمدّه وثوقُه بالله، ورضاه بقدره، وتسليمه له صبراً وتفوقاً واستعلاء على ضغط المحن، واستحالةً على الذوبان.

٢ ـ الرؤية الموضوعية المتقدمة: هذا هو البعد الثاني من بعدين قلنا بالاقتصار عليهما في الكلام عن محور القيادة والقيادة الأصيلة كما أنها فهم مبدئي معمَّق شامل، وخبرة إسلامية واسعة، واستيعاب دقيق للاطروحة

(١) كيهان العربي، العدد ٢٢، الثلاثاء ٢/جمادى الثانية، ١٤٠١ هـ.

عقيدة، ومفاهيم، وأخلاقية وأحكاماً، وكما أنها روح زكية نقية وتقوى ونزاهة، ونفسية عالية صلبة، ومعنويات كبيرة فكذلك لا بد من توفرها على الرؤية الموضوعية الدقيقة والخبرة الميدانية الصادقة والتقدير العملي المتميّز، وتشخيص الأوضاع الحاضرة، والنظر الثاقب للتحولات المتوقعة، وما يمكن أن يتمخض عنه لون التحرك من نتائج من نوع السلب والإيجاب.

وتختلف دراسة الموضوع الاجتماعي ومداخلاته عن دراسة الموضوع العلمي البحت؛ لدخول البعد النفسي بشدة في الدراسات الاجتماعية دونها عادة في الدراسات المقابلة؛ وترتبط الدراسة الاجتماعية وتشخيص الموضوع المتصل بها بالبعد النفسي بدرجة أشد، حين ترتبط نتائج هذه الدراسة في بعض فروضها بما يقتضي التضحيات الضخمة والمخاطرات الهائلة، ولاسيما إذا كان المظنون أو المتيقن أنّ الكلفة الباهظة تعني عطاء بلا أخذ في هذه الحياة الدنيا.

في ميدان العلوم البحتة يحتاج الوصول إلى التشخيص الموضوعي إلى الفهم والدقة والخبرة، ويزيد أمر التشخيص الملامس للواقع مؤونة وعدة في مورد

الدراسات الاجتماعية والسياسية مما يراد أن يرتب عليها تحرك تغييري لا يغري بمصالح ذاتية وإن أغرى بمصلحة المبدأ.

تشخيص الموضوع هنا محتاج إلى المبدئية التي تقدمت بعض ملامحها، وإلى بصيرة نافذة وخبرة جامعة، بالإضافة إلى نفسية مقاومة لا تغزوها التشكيكات الواهمة فتحول علمها جهلاً، وطمأنينتها اضطراباً، واليقين

عندها وهماً، وإلى شجاعة فائقة لا يردّها خطر، ولا يصيبها خور.

فمن غير تلك المبدئية ينقلب الأبيض أسود في النفس التي لا تحرز في التحرك مصلحة دنيوية؛ وسطحيّة النظر وضآلة الخبرة لا يمكن أن تقع على حقيقة موضوع بهذا العمق وله امتداداته المستقبلية الغامضة، والنفس الموهونة لا تصمد لها قناعة أمام التشكيك، وهو كثير في هذا المجال من الصَّديق والعدوّ وممّن له شأن ومن ليس له شأن. وإذا لم تكن شجاعة بحجم التحديّات، فإن الرأي المستتبع للمخاطر تردّه النفس وتسفهه فلا يكتسب حد القناعة.

وما كان رأي فيه مواجهة لموت محتّم وهزيمة مادية واضحة، وتضحية بالولد والعشيرة والأحبة والمخلصين من أهل المودة وتعريض الخلف من الصغار والحريم للأذى البالغ، كما كان في الرأي الذي تشخّص عند الإمام الحسين عليه السلام وثبت عليه قبل وبعد ما وصلت إليه المعلومات الدقيقة الموثوقة بقتل رسوله إلى الكوفة مسلم بن عقيل، والارتداد عن بيعته تحت عوامل الترغيب والترهيب وأساليب البطش الطاغوتي التي مارسها عبيد الله بن زياد.

وقد كان للإمام الحسين عليه السلام من موفور المواهب الإلهية في ذاته من دون العصمة فوق ما يطمع فيه الكثير من ذوي النباهات والادراكات المتميزة، وهو الذي عايش تقلّبات الساحة الاجتماعية والسياسية منذ نعومة الأظفار، ووقف على مراكز القوى ونمط العلاقات، وما يطبع مختلف التيّارات والطبقات المهتمة بالشأن السياسي آنذاك، وتلك التي تمثّل وفود التحركات، وذلك من خلال الاحتكاك برجالات تلك القوى باللقاء والمواجهات، ومن خلال موقعه الملتصق بمركز صنع القرار حيناً، والمعارضة حيناً آخر.

وهذا فضلاً عمّا له من جهة موروث الوحي ومعين العصمة جعل الوصول إلى صوابية تشخيصه والحكمة الفائقة في قرار الاستشهاد، وما حفّ ذلك من تحضيرات وإعداد كأخذه النساء والاطفال إلى ساحة المعركة في صحراء كربلاء، لا يتمّ لذوي النظر الثاقب إلاّ من بعد زمن من استشهاده عليه السلام.

ولقد كان له من يقين الرؤية، ويقين الوظيفة والتكليف، ومن بنائه النفسي المحكم، وفولاذية شخصيته ما أفقد الكلمات المخذّلة، والاقتراحات بتغيير المسار ولو أتت من أكثر الناس شفقة وأصدقهم نصحاً وخبرة أن تنال من يقينه، أو تميل بوجهة نظره، وقد سمع منها الكثير المبالغ في الإلحاح والتمني.

ولقد جاء النصُّ المبكّر عنه عليه السلام الذي يجمع بين شهادته وشهادة صحبه وبين الفتح المبين، فتمّت الشهادة، وكان النصر الذي لم يكن يراه قبل أحد من أهل النظر الحديد، هذه كلمته التي حدَّدت الوسيلة وأعلنت النتيجة في أوّل الطريق: «**فإنّه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح**» فهو الفجر الذي يشعّ به دم الشهادة والنصر المنطلق من أحضانها.

ونظر قائد الثورة الشعاع بعد زمن فرأى وقته الاقدامَ كما كان قد رأى الاقدام سيده الحسين عليه السلام. نظر

فشخَّص، وشخَّص فقرّر، وقرَّر فانطلق لا يستوقفه نداء يستريح ركبه المُغذَّ على الطريق المتعب الطويل.

رأى مأساة أمّة، وشخّص ما بيد الاصلاح، وما تملكه يد الإفساد الضارب المستطير، وقرّر أن تكون ثورة؛ ثورة كلمة ودم في وجه عدة وعتاد، ودعم عالمي ليزيد عصره في إيران، في وجه سادس نظام تسليحي في العالم، ورأى أن يكون فتح لا يلزم أن يكون الفتح العسكري القريب، ولكنه الفتح الأعمق الذي عبر عنه بفتح الفتوح، ألا وهو حياة الأرواح وحياة القلوب، وحيث يكون هذا الفتح الغاية الذي سبق أن استهدفته كربلاء الحسين عليه السلام لا بد أن يكون نصر عسكري ولو من بعد حين.

ومضى السيّد القائد مع رؤيته وقراره منطلقاً وحده في أوّل الطريق وكلما أسرع الخطا امتدت إليه ألسنة يصل سمعه منها نداءات بتريث، ونداءات باشفاق وتخذيل، ونداءات بنقد لاذع مرير، ولكن شيئاً منها لا يخترق فؤاده الحصين، حتّى توغل به طريق الكفاح ولحقت به قوافل الثائرين إلى أن كان التيار المتعاظم والطوفان الكبير.

المحور الثالث: النخبة والأمّة

أقرب النّاس إلى الثورة بعد القيادة فكراً وروحيَّة ونفسية واستلهاماً، وقدرة على التمثيل لرؤاها وقيمها وآدابها، وعلى التحمل لأعبائها ومسؤولياتها، ومواصلة الطريق هم النخبة الذين تجمعهم والقيادة مدرسة رسالة واحدة، وهم الشرايين التي تغذّي الأُمّة بوعي الرسالة وحسِّها، وتتدفق بالدم الجديد الذي يعطي لها حياتها ومعنوياتها؛ والأُمّة هي المخزون الكبير الذي يمد الثورة بمقوّمات المواجهة الشاملة وبالنخب المتجددة، ويتحمل مسؤوليتها على المدى البعيد، والأُمة هي حقل الثورة الذي تستهدفه بالإعمار، وحضورها الفاعل واستعدادها لأن تعطي كل شيء للنصر يجعلان يومه قريباً، ووزنه هائلاً؛ فلا بد من نخبة وأمّة، والثورة التي لا تجد نخبة واعية، ولا أمة فاعلة تبدأ أوّل ما تبدأ بايجادهما.

ولنقف قليلاً مع كل من النخبة والأُمّة في الثورة الامّ والثورة الشعاع:

١ ـ **النخبة**: تتميّز كل من الثورتين الأصل والامتداد بنخبة نادرة وقعت الموقع المتقدّم في نظر القيادة الثائرة، حتى أنّ كلمة الإمام الحسين عليه السلام وهو المعصوم الذي لا تخطئ على لسانه الكلمة ولا تأتي أوسع من معناها، قد ذهبت بمنزلة أصحابه في الوفاء والإخلاص وتجسيد القضية والتضحية والفداء عالياً جدّاً، فلم تقدّم عليهم أنصاراً من كل الرساليين من قبل ومن بعد إلا ما أخرجه النصّ الخاص من إمام معصوم، كأمير المؤمنين عليه السلام في صحبته ونصرته لرسول الله صلى الله عليه وآله. يقول سيد الشهداء عليه السلام: «**أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ وأوصل من أهل بيتي**»[1] فأصحابهُ عليه السلام على سموّ من كلمة، وعلى عظمة من موقف، وعلى سموّهم وإخلاصهم قولاً تجدهم أعظم موقفاً وجهاداً فلقد مشوا الى الموت في سبيل الله بقدم ثابتة، مختارين غير مكرهين، راضين غير ساخطين، مستقلّين ما أعطوا غير مستكثرين؛ يرون الموت بأمّ أعينهم وفرص الحياة مفتوحة أمامهم من إمامهم ومن

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤١٨، ط دار المعارف.

عدوهم فلا يرون في الحياة طعماً أمام لذة الشهادة في سبيل الله، ولا يواقعون الشهادة منفعلين، وإنما يخوضون اللجّة قاصدين لها ببصيرة الموقنين، ووعي حملة الرسالة، وروح البررة الأطهار، والحبّ والإخلاص لله ودينه وللمؤمنين؛ يقذفون بأنفسهم في قلب معركة طاحنة لا يتطلعون فيها إلى نصر ولا دولة يعزّ فيها القريب وينعم الحبيب، بل كلّ تطلعهم أن يبعثوا الأُمّة من جديد ويُعزوا الدين على المدى البعيد مرضاة لله وطلباً للقائه.

وهذه مواقف وكلمات من صفوة بعثت أمّة وأحيت ديناً، وحفظت منجزات لتاريخ ضخم من صُنع الرسل والأنبياء والأوصياء العظام، وهي مواقف وكلمات لا زالت قادرة على أن تصحّح وأن تعمر وأن تشيد وأن تنسف بناءً فاسداً متهرّئاً، وتقيم مكانه البناء السليم القوي المتين؛ وكلمات أُخرى قيلت فيهم تضعهم حيث هم منارات هدى وشوامخ عزّ ونماذج إيمان.

أ ـ قمة وعي وبصيرة وإيمان: حبيب بن مظاهر يسجل كلمة تقييم لأولئك الصفوة وهو يدعو حيّاً من بني

أسد لنصرة أبي عبدالله عليه السلام: «**إني أتيتكم بخير ما أتى بـه وافد إلى قوم؛أتيتكم أدعوكم إلى نصر ابن بنـت نبـيكم فإنه في عصابة من المؤمنين الرجل منهم خير من الـف، رجل لن يخذلوه ولن يسلموه أبداً**»[1].

هذا التّميّز الضخم يطلقه حبيب ليتناول أبعاداً وأبعـاداً من الشخصية الإسلامية السويّة بما فيها من دقة التـشخيص والبـصيرة فـي الـدين والإصـرار عليـه، ومواجهـة كـل الاحتمالات في سبيله.

وهذه كلمة أخرى لهذه الشخصية الإسلامية الموغلـة في الايمان والوعي: «أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذريـة نبيّـه صلى الله عليه وآله وأهـل بيتـه، وكبـار أهـل هـذا المـصر المجتهـدين بالأسـحار والـذاكرين الله كثيراً»[2].

أولئك الذين باتوا ليلـة العاشـر مـن المحـرم ينتظـرون مطلع شمس تخضبه دماؤهم الزكية، باتوا مقبلين علـى الله بين راكع وساجد وقائم وقاعد فـي خـشوع المـصلّين مـن ذوي الألبـاب، وبـين تـال للقـرآن ومـستغفر، ولهـم دويّ

(١) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام: ١٢٥، عن مقتـل الحـسين: ٩٥.

(٢) الوثائق الرسمية: ١٤٢، عن الطبري ٤: ٣١٨.

كدوي النحل، لكنه الدويّ الصاعد إلى السماء الخالد على الدهر، المعلّم للأجيال، المتضوّع بعبق التقوى في وعي، وأريج الإيمان في سداد ورشد.

وأحدهم كان برير، الذي تقول النّوار لقاتله زوجها كعب بن جابر: «أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيّد القرّاء؟ لقد أتيت عظيماً من الأمر! والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً»[1].

ومسلم بن عوسجة الذي يستثير شبثَ بن ربعي ـ وهو عدو ـ فرحُ قاتيله فيقول: «ثكلتكم أمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذللون أنفسكم لغيركم. تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة ! أما والذي أسلمت له، لربّ موقف له رأيته في المسلمين كريم؛ لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟!»[2].

نعم إنهم فرسان المصر وأهل البصائر؛ يقول بالأوّل أنهم ثبتوا للموت حين لا يثبت إلا قليل في الخلق، وبالثاني أنهم لم يعدلوا بالحسين شيئاً.

---

(١) مقتل الحسين للمقرّم: ٢٥٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤٢٦، ط دار المعارف.

ب ـ أمانة قمة ورساليّة: مثل: قيس بن مسهر الصيداوي وقد وقع في يد الحصين بن تميم يمزّق رسالته من الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، ويمثل أمام ابن زياد فيرفض أن يعطي معلومة تخدم العدو وإن أنجته من قتل، ويقبل أن يصعد المنبر بعرض من ابن زياد ليذكر سبط رسول الله بما لا يجري به لسان مؤمن؛ ولكن لا ليفعل وإنما ليؤدي رسالة جاء يفديها بالحياة، وليقول كلمة فيها نصرة للقضية وإن كان الثمن أن يستثير الطاغية ويواجه بذلك أشد تنكيل، وأقسى عقوبة. صعد فحَمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله وأكثر من الترحّمَ على علي والحسن والحسين، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه وعتاة بني أمية. ثم قال:

«أيها الناس هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله عليه السلام وأنا رسوله إليكم وقد خلفته بالحاجر فأجيبوه».[1]

ويطبق الإمام الحسين عليه السلام في مورد خبره قوله عزّ من قائل: ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[2] لم يردهم عن خط المبدأ، والوفاء

(١) الوثائق الرسمية: ٨٨، عن مقتل الحسين للأمين: ١٧، والطبري ٤: ٢٨٩.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

بالعهـد، وأداء حـقّ الأمانـة الثقيلـة ضـنىً ولا مـوت ولا صعاب.

ج ـ الوعي الذروة: «وجاء شـمر حتى وقـف على أصحاب الحسين عليه السلام فقال: أيـن بنـو أختنـا؟ فخـرج إليـه العبَّـاس وجعفـر وعثمـان بنـو علـي بـن أبـي طالـب عليـه وعليهم السلام فقالوا: ما تريد؟ فقـال: أنـتم يـا بنـي أختـي آمنون؛ فقالت لـه الفتيـة: لعنـك الله ولعـن أمانـك، أتؤمننـا وابن رسول الله لا أمان له؟!»[1].

هـذا وعـي إيمـاني وسياسـي ناضـج ذروة، يواجـه العـرض الـرخيص مـن شـمر وإن كـان فيـه الإبقـاء علـى الحياة. إن أشبال علي عليه السلام ليدركون أن الحسين عليه السلام هـو الإسلام، والحياة في معزل من خطّـه حيـاة فـي معـزل مـن الإسلام، وهي حياة خواء لا تساوي شيئاً؛ فالشمر هنـا إنمـا يعـرض علـى الفتيـة الأُبـاة حيـاة الـذلّ والهـوان، ويعـرض عليهم خيانـة القـضية ورمزهـا الكبيـر؛ إنّـه يريـد أن يأخـذ منهم كل شيء والثمن أمان ملعون على حـد تعبيـر الفتيـة الكـرام، ملعـون لأنـه عـار، ولأنـه سـقوط وهـوان، ولأنـه انفصال عن الجنّة والتحاق بالنّار.

(١) مصنّفات المفيد، المجلد ١١: ٨٩.

هنا وعي إيماني يقدّم مرضاة الله على حياة الفانين، ووعي سياسي لا يرى أمناً حقيقيّاً لجماهير الأُمّة ونخبها مفصولاً عن أمن القضية والقيادة، ويرى أنه بعد اضطهاد الإسلام ورمزه ليس للآخرين إلا الاضطهاد.

د ـ القتال المبدئي: يقف عمرو بن قرظة الانصاري أمام الحسين عليه السلام يقيه من العدو، ويتلقى السهام بصدره وجبهته فلم يصل إلى الحسين سوء، ولما كثر فيه الجراح التفت إلى أبي عبدالله وقال: «أوفيت يابن رسول الله؟ قال: نعم أنت أمامي في الجنة فأقرئ رسول الله مني السلام وأعلمه أنّي في الأثر، وخرّ ميتاً»[1].

أمَّا زهير بن القين فهذا رجزه وهو في الحملة على الأعداء:

أنا زهير وأنا بن القين أذودكم بالسيف عن حسين[2]

ورجز علي الأكبر:

أنا عليبن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي

(١) مقتل الحسين، للمقرّم: ٢٤٨.
(٢) المصدر السابق: ٢٤٧.

تا الله لا يحكم فينا ابن الدعي[1]

واسمع للعبَّاس بن علي عليه السلام:

نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا إني أنا العبَّاس أغدو بالسقا

ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى[2]

ويقول:

والله إن قطعتمُ يميني إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين[3]

هذه النماذج تتحدث عن مبدئية حيَّة في حضور قويّ فاعل لا تنتابها غيبوبةٌ لحظة الغليان العاطفي وفوران مراجل الحماس، وهي اللحظة التي تتحدى العقول وتطيش فيها الكلمات؛ فشهداء الطف شهداء الفضيلة والمبدأ والوفاء للإسلام وقيادته بحقّ، فوعي الهدف وروح الفداء للإسلام والإخلاص الإيماني بقيت المنطلق الوحيد الحيّ والمحرك لكل الفعاليات الجهاديّة والقتالية

(١) مقتل الإمام الحسين، للمقرّم: ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق: ٢٦٩.

(٣) المصدر السابق.

عندهم حتى لحظة الشهادة، وبهذا يتصف القتال عندهم بالمبدئية الصادقة بحقّ.

وتتمتع الثورة الشعاع بنخبة من سنخ هذه النخبة لتبرز نموذجاً إنسانياً رفيعاً يعلّم الوعي والمبدئية والوفاء والفداء. وهذه بعض كلمات القائد الكبير التي تسجّل شهادات الرفعة والسمو لعدد من هذه النخبة:

«إنّ ذكرى الشهيد مطهري تركت في نفسي وحياتي القصيرة ذكريات خالدة؛ فقد كان هذا الرجل شعاعاً نيراً حيَّ الضمير، له نفس تعشق الرسالة السماوية... لقد كان الأمل أن نقطف من هذه الشجرة الغنيّة بثمار العلم والإيمان أكثر من الثمار التي في أيدينا الآن»[1].

«لقد اختطفت يد الإجرام الأمريكية اليوم، يوم الجمعة، يوم العبادة والصلاة، إحدى الشخصيات القيّمة الذي كان مربياً كبيراً وعالماً عاملاً وملتزماً بالإسلام»[2] وهو يعني هنا السيّد (دست غيب) أعلى الله مقامه.

---

(١) صوت الأُمّة، العدد ١٥، شعبان، ١٤٠١ هـ.

(٢) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٦: ٥، ربيع الأوّل، ١٤٠٢ هـ.

«ومن أولى بالشهادة من شهيدنا الكبير والفقيه الرسالي وفدائي الإسلام الشهيد العزيز صدوقي رضوان الله عليه»[1].

«لقد سفكوا دماء أكثر من سبعين مؤمناً ملتزماً وابناً باراً للإسلام كان كل منهم شجرة غزيرة الثمر»[2].

«وهل خسرت ثورة إيران العظيمة عندما قدمت سبعين شهيداً في لحظة واحدة والآلاف من الشباب العاشقين لله سبحانه وتعالى؟»[3].

وها هو اليوم القائد العظيم آية الله سماحة السيّد علي الخامنئي وهو أحد رجالات الثورة المباركة وفدائييها وناشطيها، صورة حيّة من الإمام الراحل الكبير وعياً وصموداً وغيرة شديدة على الإسلام، ومواجهة عنيفة للإستكبار، وحنكة سياسية، ورؤية علمية، وشجاعة في

---

(١) كيهان العربي العدد ٨٦، الخميس ١٦/ شهر رمضان، ١٤٠٢ هـ ٨/ تموز/ ١٩٨٢م.

(٢) رسالة الثورة الإسلامية العدد ١٢ ـ ١٣: ٦ شهر رمضان ـ شوال / ١٤٠٢ هـ، وقد قال الإمام قدس سره: هذا القول بعد مقتل الشهيد بهشتي مع إثنين وسبعين آخرين من أعضاء الحزب الجمهوري في طهران عام ١٩٨٢م.

(٣) كيهان العربي، العدد ٨٦، الخمس ـ ١٦ شهر رمضان/ ١٤٠٢ هـ، ٨/تموز/ ١٩٨٢م.

الحقّ وأمانة على مصالح الدين ومكتسبات الثورة، وبُعداً عن المحاباة، وشدّة خشونة في ذات الله. نعم إنّه القائل صدقاً بعد تجربة من العمل الشاهد حقاً: «ماضون على نهج الإمام حتى الرمق الأخير»[1] ذلك الإمام الذي قال فيه عند إصداره لحكم تنصيبه رئيساً للجمهورية: «وقد منَّ الله علينا إذ هدى الرأي العام لانتخاب رئيس جمهورية ملتزم ومكافح وعلى خط الإسلام المستقيم وعالم في الدين والسياسة»[2].

٢ ـ الأُمّة: الأُمّة هي المخزون الضخم الذي تستمد منه الثورة عنصر المواجهة مع العدوّ في الجبهة الأمامية والخلفية للمعركة؛ فحين تكون الأُمة مستوعبة لقيم الثورة، مؤمنة بها، ملتفة بقيادتها، مستعدة للعطاء من أجلها، تكون الثورة مؤمَّنة إلى حد كبير من حيث متطلبات المواجهة الطويلة المدى، الواسعة الإطار في الكثير من ميادينها، وتعتمد الثورة في مواقعها الشعبية ـ للتسلّح بمقوّمات المواجهة الحاسمة مع الأنظمة الطاغوتية المبنيَّة بناء محكماً من ناحية تنظيمية وعسكريّة ـ على

(١) الثقافة الإسلامية: ٧، ربيع الأوّل ـ ربيع الثاني/ ١٤١١ هـ.
(٢) الوثائق الرسمية، عبدالكريم القزويني: ١١١، عن مقتل الحسين للأمين: ٩٠.

عنصر الإيمان الفاعل، والإرادة الحيَّة المتحرّكة، وروح العطاء والتضحية عند الأُمّة، في مقابل ما تعتمد عليه تلك الأنظمة السلطوية الدنيوية في هذه المواجهة من عنصر الإغراء المادي من جهة والارهاب والبطش من جهة أُخرى.

وإقدام القيادة والنخبة على المواجهة الحادّة مع أي نظام في حالة من غياب الأُمة، وسقوط فكرها، أو تحجُّر ضميرها، أو شلل إرادتها إنما يعني ـ في الحالة الواعية غير الانفعالية، والحالة الخاضعة للتخطيط، غير المحكومة للفوضى والانفلات ـ انتحاراً رساليّاً، ورسالة دموية إلى فكر الأُمة وضميرها وإرادتها، وصوتاً راعداً مزمجراً يخترق حالة الجمود والتحجّر الذي تعيشه الأُمة في وعيها ووجدانها وفاعلية إنسانيتها.

والواضح أنّ ثورة كربلاء لم تجد الأُمة التي ترتفع إلى مستوى كلفتها، وأكثر ما كانت تعاني منه الأُمّة في كثير من أقاليمها يوم ذاك الانحدار الهائل في مستوى الإرادة الإيمانية الفاعلة للتأثير السلبي المخطط على القيمة الإيمانية ومنطلقات الإيمان في النفوس من جهة، ولعوامل الإرهاب والتحقير والتقزيم التي توسَّل بهما

الحكم الأُموي للهبوط بنفسيَّة الأُمّة، مع القضاء على بؤر الوعي الثوري الإيماني في عملية تتبع واسعة لحملة الفكر العلوي والنماذج الرسالية الصلبة، والقادرة على الاشعاع والبعث من أبناء هذه المدرسة، وأمّا التقييم الفكري فأكثر من وقع في أسره أهل الشام مركز الخلافة الأُموية.

والإمام الحسين عليه السلام من أعرف النّاس بالنّاس من بعد زمانه وعلى مدى المستقبل البعيد، فكيف بأهل زمانه؟ فلم يكن الذي ينخدع بكلمة كاذبة أو وعد غير صادق أو تظاهرة ليس وراءها جدّ. اسمعه يضع النّاس كل النّاس في إطار واقعهم الإيماني والنفسي والعملي وربّما كانت ترمي كلمته الحكيمة بنظرها بصورة أخص إلى جمهور النّاس في الخارج يومذاك ممّن يراد لهم أن يشكلوا جمهور الثورة يقول عليه السلام: «**الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على السنتهم، يحوطونه ما درت معايشهم فإذا مُحّصوا بالبلاء قل الدَّيانون**»[1] وتشهدُ في كلمته الأُخرى فتوراً في إيمان النّاس وشللاً في إرادتهم الإيمانية: «**ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى**

(١) الوثائق الرسمية، عبدالكريم القزويني: ١١١، عن مقتل الحسين للأمين: ٩٠.

عنه»[1]، وهل تخفى عليه نفسية أهل الكوفة يومذاك وهو الذي وقف على أكثر من تجربة من نكوصهم وخيانتهم؟ يقول عليه السلام: «**أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أُصولكم وتأزرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجاً للناظر وأكلة للغاصب**»[2].

سقوط الأُمّة هذا السقوط الذريع، والقرار الأموي الحاسم بالاجهاز عليها انتماءً وهوية، وانعدام الفرصة لتربية الأُمّة وبعثها عن غير طريق الثورة وشهادة القيادة والصفوة، حدَّدت الطريق أمام أبي عبدالله عليه السلام لثورة الاستشهاد، وطلب النصر بموت الأُباة الكرام في مواجهة الطغاة اللئام.

كانت الكلمة البركان طوع مقولة الشريف وقد جرّب كل وسيلة ممكنة لاستثارة الأُمة كي تنتفض لدينها وكرامتها وذاتها، إلا أنها كانت من السقوط والجمود وضياع القيم بحيث لا يستيقظ لها ضمير ولا يهتز لها وجدان ولا تنبعث لها إرادة عن طريق الكلمة، ولو كانت كلمة الحسين عليه السلام البركان والثورة.

---

(١) المصدر السابق: ١٧٤.

(٢) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ١٢، ١٣/ شهر رمضان ـ شوال/ ١٤٠٢ هـ.

فلم يكن بدّ من لغة الدم الأقوى من البركان، والأكثر إشعاعاً من الشمس والأشد دويّاً من الرعود، وليس كل دم كذلك؛ فلا بد من دم الحسين عليه السلام والصفوة من عشّاق الحسين عليه السلام، هذا الدم الفاعل المغيّر القهّار الذي يجدونه دون غيرهم ويجدون به كما لا يجود أحد.

ذلك الدَّم، وهو رسالي وجادٌّ وفوّار، هو الذي صنع الأُمّة الرسالية الجادة الثائرة، أُمة الإمام الخميني، و أُمّة الثورة الشعاع؛ هذه أُمة التي تدفَّق شيبها وشبابها واليافعون من أبنائها على الجبهات وقصَدوا إلى القيادة يتوسلون أن تدعو لهم بالشهادة.

نعم قد نالت يد التغريب والتخريب الآثمة من أبناء إيران الإسلام، وهي يد النظام الشاهنشاهي القذرة، بما أفسد وخرَّب وشوَّه بالفعل وأحدث في هذا الشعب غربة بشعة عن الإسلام، وبعداً عملياً عن قيمه في مساحة كبيرة من حياة الكثير من أبنائه، إلا أنّ أمصال الثورة كانت تصل بمادة الحياة والتعلق بالكرامة والحرية والمبدئية إلى أعماق إنسان هذه البلاد من أجيال ثورة كربلاء، عبر منبر الثورة وموكبها وشعارها وثقافتها وروحيتها وهادفيتها

وتضحويتها مما لم يمكّن للخسف أن يصل بتدميره إلى الجذور، وأن ينال أصل الاستعداد للتفجّر يوم البركان ويوم ينادي سليل الحسين عليه السلام الخميني الكبير بـ «يالثارات الحسين» فكانت كربلاء الثورة الأُمّ تحضيراً لأُمّة تحمل رسالتها في يوم من الأيام وتتحمل أعباءها الثقيلة بكفاءة كما كان أنصار الحسين، وتحقّق نصراً ساحقاً تحت قيادة مؤمنة فولاذية من صناعة مدرسة الحسين عليه السلام.

والإمام الخميني قدس سره أعرف بعطاء كربلاء، وأكثر إيماناً بفضلها، وقد حرص أن تسجل كلماته الشريفة هذا الإيمان العميق تعليماً للأُمّة وتذكيراً لها واصراراً على إنشدادها بيوم الحسين عليه السلام، يقول قدس سره: «وثقوا أنّ انتفاضة الخامس عشر من خرداد لم تكن لتحدث لولا هذه المجالس والمواكب، ولولاها أيضاً لما استطعنا أن نحبط كل تلك المؤامرات العالمية التي تحاك ضدنا من جميع الجهات»[1]. وهو يرى أنّ هذا البكاء يصنع شعب الملاحم[2].

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ١٢، ١٣/ شهر رمضان ـ شوال/ ١٤٠٢ هـ.

(٢) سلسلة الولاية للثقافة ١٥: ٥ ـ ٦.

وكلمة أُخرى: «البكاء على الشهيد هو لإبقاء الثورة حيَّة، وحتى الذي يُظهر الحزن على قسمات وجهه ويتباكى فهو يحافظ بدوره على هذه الثورة، ويشارك في المحافظة على ثورة الحسين»[1] ومن هذه الكلمات المشاعل: «يجب أن نعلم جميعاً أن طريق الوحدة بين المسلمين هو هذه المراسم السياسية، مراسم عزاء الأئمة الأطهار عليهم السلام ولا سيّما سيّد المظلومين وسيّد الشهداء أبي عبدالله عليه السلام، وهي الصائنة لهوية المسلمين وبالأخص شيعة الأئمة الاثني عشر عليهم صلوات الله»[2] والمآتم عنده(رضي الله عنه) تستثير عواطف الخير على طريق الثورة الإسلامية المباركة وتحشد الهمم، وتزرع التوق اللاهب للشهادة: «إنّ إقامة المآتم هي التي تحرّك عواطف النّاس وتجعلهم على استعداد للقيام بكل شيء، والنّاس حينما يرون أن سيّد الشهداء ضحّى بشبابه هكذا، فستهون عليهم التضحية بشبابهم، وهذا هو المعنى الذي انعكس على جميع جوانب ثورتنا، وإنّ جميع أبناء شعبنا يتمنون الاستشهاد في سبيل الله»[3] فأمّة الثورة الخمينية

(١)سلسلة الولاية للثقافة: ٧ ـ ٨.
(٢) المصدر السابق: ٩ ـ ١٠.
(٣) المصدر السابق: ١٠.

المباركة هي من صناعة الثورة الحسينية المعطاء، وهذا ما تصرح به ثانية الكلمة الآتية: «إن مجالس العزاء والنياح على سيد المظلومين وإبراز مظلومية إنسان ضحّى بنفسه وأولاده وأصحابه في سبيل الله ورضوانه، هي التي صنعت الشباب الذين توجهوا نحو جبهات القتال وهدفهم نيل الشهادة في سبيل الله، ويفتخرون بالاستشهاد ويحزنون إن لم يستشهدوا في هذا الطريق، وهي التي صنعت الأُمهات اللاتي حينما يفقدن شبابهن يقلن: ما زال لدينا واحد أو إثنان من الأولاد، إنّ مآتم العزاء ودعاء كميل وسائر الأدعية هي التي تربّي النّاس بهذه الصورة»[1].

فثورة كربلاء وهي المدرسة الحيَّة المتحرّكة قادرة بما تزخر من دروس الفداء والتضحية والتلاحم والإيثار وتجاوز الذات، وبما يتفجّر عنها من هدى ونور وأشواق إلى الله، وتتدفّق به من معاني المروءة والشجاعة والإباء، ويشع من كل جنباتها من وعي وبصيرة؛ قادرة على أن توجد أُمة الثورة، وأجيال الجهاد.

(١) صوت الأُمة، العدد ١٠ ـ ١١: ٩، صفر ـ ربيع الأوّل، ١٤٠١ هـ.

ولقد كان إيمان السيّد الإمام بالأُمة التي صنعتها كربلاء وقيمها الرفيعة ودروسها الحيّة إيماناً كبيراً وثقته بها عالية، واهتمامه شديداً، وعنايته فائقة وتعويله عليها بعد الله واضحاً، ولم يفتأ تشيدُ كلماته بشعب الثورة وتضحياته الكبار وملاحمة البطولية الرائعة، وتهافته على الشهادة في سبيل الله واعزاز دينه ومن أجل الأرض الإسلامية الغالية ومكتسبات الثورة المقدّسة. وهذه كلماته التي يعبر فيها عن إعجاب كبير بشعب الحسين عليه السلام شعب الثورة الشعاع فيقول: «لم ير التاريخ الإسلامي ـ سوى في برهة من تاريخ صدر الإسلام ـ شباباً مثل شباب إيران اليوم، ولم يسجل التاريخ في طياته عن شعب مثل شعبنا؛ ففي أي جزء من التاريخ يمكنكم العثور على شباب يندفعون بمثل هذا العشق للدفاع عن وطنهم وفي أي مكان شاهدتم شعباً يعشق الشهادة؟!»[1].

ويقول: «إنّ المرأة التي فقدت ابنها في الحرب تأتي وتقدّم أبناءها الآخرين في سبيل الله (الإسلام)، ويأتي الشيخ الذي فقد ولده في الحرب ويطلب أن يذهب بنفسه إلى القتال ليستشهد في سبيل الإسلام، ويأتي شباب يطالبون بالدعاء لهم لكي يستشهدوا في سبيل الله»[2].

(١) الشهيد، العدد ٧٣، ١٣/ محرم ١٤٠٢ هـ

(٢) المصدر الاسبق، العدد ٨٦ ـ ١٦/ شعبان ١٤٠٢ هـ.

وها هو يخاطب خريجي مدرسة عاشوراء في الفداء والعشق الإلهي: «أعزائي... يا من تنير للعالمين مجالس ذكركم ودعائكم ومناجاتكم في الليالي... وتضيء كالنجمة اللامعة في الجبهات... ويصمد يومكم كيوم عاشوراء أمام اليزيديين»[1]، وتراه يسجّل بكل تواضع اعترافاً للأُمة بدورها الضخم وينسى ذاته وعطاءاته الثرة وثوريته المحركة وقيادته الحكيمة أمام الشهيد (حسين فهميده) الذي له من العمر ١٢ عاما فيقول: «إنّ قائد الأُمّة هو ذلك الطفل الذي له ١٢ سنة من العمر، وإنّه بقلبه الصغير أكبر قدراً من مئات ألسنتنا وأقلامنا»[2].

ويأتي تعبيره عن الاهتمام بالشعب المضحّي والأُمّة المجاهدة واضحاً صريحاً مشفوعاً بالاشادة والتكريم: «هذا الشعب أوصلنا إلى هذه المنزلة، فالعمل لصالحهم واجب وخدمتهم واجبة، فليعلم السيد رئيس الجمهورية بأنّ أبناء الشعب الذين يسيرون في الأزقة والأسواق هم الذين أتوا به إلى هنا من باريس ليصبح رئيساً لهم فعليه القيام بخدمتهم، كما أنّ على السيد رئيس الوزراء أن يفكّر بهذا الأمر جيداً، لأنّه يعلم أنّ هذا الشعب هو الذي

(١) سلسلة الولاية للثقافة: ٧: ٢٦.
(٢) صوت الأُمة ، العدد ١٠ ـ ١١: ٧، ١٤٠١ هـ.

تمكن أن يطلق سراحه من السجن ويجعله الآن رئيساً للوزراء، وكذلك أنتم أيّها السادة المحترمون كانت بلادنا سجناً ومعتقلاً عظيماً ونحن السجناء فيه، وهذه الأيام التي نعيشها هي من صنع إرادة شعبنا»[1]. هذا من خطاب لبني صدر وبازركان، وفي خطاب لرجائي تغمّده الله برحمته ولسائر المسؤولين عند رئاسته للجمهورية قال: «يجب عليكم أن تعملوا وتسعوا من أجل هذا الشعب الذي عانى طوال تاريخه، وضحّى بشبابه للقضاء على النظام البائد وجاء بكم إلى الحكم» وأضاف في السياق نفسه «فيجب عليكم جميعاً أن تبذلوا كل ما في طاقتكم من أجل خدمة المستضعفين والمحرومين الذين عانوا طويلاً من الاستضعاف والحرمان ولم يحسب لهم أي حساب، فكل ما كان يُنفذ كان يصب في صالح الطبقات المرفهة والغنية من المجتمع. عليكم دعم ومساندة المستضعفين الذين يضحّون بأرواحهم على الجبهات وخلفها».

وهكذا يصبّ الإمام الكبير اهتماماً مركزا على أمّة الإيمان والجهاد والعطاء والعناية بأمر دينها ودنياها، ملتفتا كثيراً إلى الطبقات المستضعفة والمحرومة لأنها وقود

(١) الشهيد ٣، ١٨/ شوال ١٤٠١ هـ.

الثورة وخزين مادتها، ولأنّها أوّل ما يكون عنها التشاغل والتغافل؛ فكم كانت الأُمة وفيّة لقائدها؟! وكم كان قائدها وفيّا لها بحقّ وصدق؟!.

المحور الرابع : الظرف والأداة

تشترك كل من الثورة الأُمّ والثورة الشعاع في مواجهة حكم طاغوتي جائر أخذ على نفسه أن يسرق أتعاب الأُمّة وجهودها، وأن يستحوذ على امكاناتها وثرواتها، كما أخذ على نفسه أن يفصلها عن هويتها، وأن يقضي على انتمائها؛ فكان الهدف المشترك للحكم الطاغوتي المتسلّط في الحالتين هو إضعاف الإنسان وتخريبه، ويقابله هدف المواجهة المتمثل في تقوية الإنسان وإعماره.

وعندما يكون الهدف الطاغوتي مشتركاً تخلق السياسية المتحركة على طريقه ظروفاً متشابهة ومشتركة.

ولكل ثورة أُسلوب وأداة قد يلتقيان من ثورة مع ثورة، وقد يتباينان فيهما حسبما عليه طبيعة الثورة ومرحلتها وواقع ما تعيشه من عوامل السلب والإيجاب فيما لها وما عليها مما عليه واقع الأطراف كلّها.

ونجمل الحديث إجمالاً مختصراً في كل من النقطتين بالنسبة لثورة الحسين، وثورة سليل الحسين عليه السلام.

١ـــ ظروف الثورة: النظام الطاغوتي الغاشم يستهدف إضعاف الإنسان لاستغلاله، وتخريبه لإضلاله، ويسلك إلى طرقاً؛ يستعين بالإنسان على الإنسان؛ بأشرار الناس ولئامهم، بكلابهم وذئابهم، على خيار النّاس وأشرافهم، فيحيط نفسه بطغمة السفلة من ذوي الظفر والناب والمكر والختل، ويجمع بهم الطاقة والثروة، ويجدون من طرق النهب والغصب والسرقة في ظله ما يغريهم ويشبع نهمهم، فيستريحون إلى هذا النظام ويرتبط مصيرهم بمصيره. ولا تكبر الثروة بيد القلة إلا بحرمان الكثرة؛ ولا يعزُّ جانبها إلا بإذلال الغالبية، ولا يسلم لها أمنها وهي ظالمة معتدية إلا بضعف عامة الناس؛ ومن هنا لا يكون حكم طاغوتي إلا ويكون مجتمع مسحوق محروم معذّب، والدين فيه معدوم أو مزوّر، أمّا الناشطون وعياً وحركية ورسالية وثورية فيُصبّ عليهم العذاب صبّاً، ويلاحقهم الموت في كل زاوية ومنعطف، ولا يحميهم قانون ولا عرف ولا قيم.

الناس في مجتمع يحكمه الطاغوت ثلاثة: صاحب دنيا لا يسلم عليها إلا ببيع دينه، وصاحب دين ـ وهو

قليل ـ مرزوء في دنياه بل مطارد في حياته، وغالبية كبرى لا تحظى بدنيا ولا دين.

والعقل في أكثر قطاعات هذا المجتمع في غيبوبة وسقوط، والإرادة في شلل وانحسار، والأخلاق في تهرّؤ وانحطاط، والعلاقات الاجتماعية تعاني من تبعثر، والحسُّ التاريخي مصاب بالتبلّد، والرؤى قصيرة، والهموم صغيرة، وأوهام المخاوف تشلُّ التفكير، وتحبس الخطى وتسدّ أبواب التغيير، وسياسة الإذلال والتصغير لا تبقي على ثقة، وحرب التيئيس تجهض كل الآمال.

وما أكبر التشابه بين الحكم الأموي، والحكم الشاهنشاهي في الطاغوتية الموغلة، واستهداف تحطيم الإنسان في البنية التحتية من إنسانيته، وملاحقه بؤر الوعي ومراكز الاشعاع، والتنكيل بالصفوة والجدّ في تقويض الإسلام وهدم عمارته، وحرمان الناس والتلاعب بالثروة وتبديدها، والتركيز على عملية التغريب والتذويب والاستبدال الحضاري العام.

وكلمات الإمام الحسين عليه السلام وهي موجزة ترسم الصورة البشعة لطاغوتية النظام اليزيدي والمأساة البائسة لواقع الأُمة الذي صاغته يد الإثم لذلك النظام: «أيّها النّاس

إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (**من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرّحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله**)[1] فحكومة بني أمية حكومة للأثرة والإفساد ومواجهة الدين والقضاء على القيم. وقد أعطت هذه السياسة المشؤومة ثمارها المرّة المدمّرة: «**وإن الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟**»[2] أصبحت الحياة من سياسة البطش والإذلال، وسياسة التحلّل والفساد، والشره والأثرة، وسقوط العزّة والكرامة، وبيع الدين والضمير، وضآلة وزن الإنسان في داخله، واعتزازه بكل دنيء أكثر من نفسه، ونسيان الدين والقيم، وتعظيم الحقير، وتحقير

(١) الوثائق الرسمية، القزويني: ١٠٠، عن الكامل ٣: ٢٨٠، والطبري ٤: ٣٠٠.

(٢) المصدر السابق: ١١١، عن مقتل الحسين للأميني: ٩٠.

العظيم، أصبحت مستنقعاً وبيئاً خانقاً يضيق به الأحرار من ذوي الدين والضمير، وشبحاً مخيفاً تفزع منه إنسانية الإنسان.

هذه هي صناعة النظام العدوّ الجائر الذي ينطلق في كل خططه ومشاريعه من روح العداء لجماهير الشعب والأُمّة وعناصر النخبة الواعدة فيها. يقول أبو عبدالله عليه السلام في إشارة صريحة لروح العداء المتأصلة التي تكنّها للأُمة الأنظمة الجائرة القائمة على خلاف ارادتها، والمنطلقة من مواجهة رسالتها ومبدئها؛ يقول مخاطباً مقاتليه ممّن اجتمعوا لنصرة بني أمية: «**سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم**»[1]. والحكم الطاغوتي عدوّ يسترق داخل الإنسان ويستهدف أصالته وكرامته وعناصر القوة والسموّ في كيانه؛ فمن أعطى هذا وذلّ وخنع عاش معيشة الديدان، وإلا فإنّ السجن مسكنه والفقر لباسه، والرعب يحاصره، والموت له في ترصد

(١) الوثائق الرسمية ، القزويني: ١٧٣، عن اللهوف في قتلى الطفوف للسيّد ابن طاووس: ٤١.

على كل طريق. اثنان في ظل أنظمة الطواغيت، عبد باع دينه وإنسانيته بلقمة خسيسة مغموسة في الذلّ والهوان، وحر مطارد يطلبه السجن والعذاب؛ وإن كان ثالث فهو ذاك القابع في زاوية نائية قد نسي الحياة ونسيته الحياة: «**يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[1]. والكلمة المعصومة تقسم الناس أمام الخيار الطاغوتي بشقيه: فصاحب دين ونجابةٍ في نسب، وتربية إباء لا يختار على موت العزّ حياة الهوان، وغيره ممّن فقد سبباً أو أكثر أسباب العزة وحياة الروح فيهون عليه أن يتمرّغ في الوحل ويلتقط اللقمة من بين القذارات وأكداس الديدان؛ ليعيش أياماً في بطنة الغبي، يقبّل أقدام الطاغية في خضوع الذليل.

وهذا مقطع مظلم من مقاطع حالكة تتألف منها صورة الواقع المأساوي للأمّة التي يتسلط عليها يزيد وابن زياد وأمثالهما من المسوخ البشرية. زهير بن القين وهو يخطب في الجيش المعادي يرسم ذلك المقطع: «فإنّكم

(١) الوثائق الرسمية ، القزويني: ١٧٣، عن اللهوف في قتلى الطفوف للسيّد ابن طاووس: ٤١.

لا تدركون منهما ـ الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد ـ إلا سوءاً عُمر سلطانهما؛ يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثّلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهانئ بن عروة وأشباهه»[1]. ومأساة أُخرى تتمثّل في ذلك الضلال الموضوعي والعمى في البصيرة الذي يتراءى معه الجلّاد الغاصب المذل صديقاً، والمنقذ الشفيق المعزّ عدواً، واللقمة المغموسة بالحقارة مغنماً، والحياة الكريمة أو الموت العزيز في سبيل الله مغرماً. اسمعهم ماذا يجيبون زهير بن القين عليه رضوان الله: «فسبوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا: لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سلماً»[2].

وإنّها لظروف واحدة في غاية السقوط والرداءة تعيشها الأُمة في مستنقع حكم الطواغيت سواء كان الحاكم يزيد ومعاوية، أو الشاه وأباه، أو من هو على شاكلتهم من ضلّال الأُمة وسفلتها.

(١) مقتل الإمام الحسين، المقرّم: ٢٣١.
(٢) المصدر السابق.

الإمام الراحل قدس سره وهو يستعرض بعضاً من إيجابيات الثورة يقول: «شعب كان يعيش التفسخ والفساد يتغير فجأة»[1]. ولنتابع كلمات له هنا تعيد صورة الأُمّة أيام الشاة وأبيه كما كانت أيام معاوية وابنه العربيد يزيد: «المهم أننا نملك شعباً واعياً حطّم الخوف وأزاله، وإنّه اليوم لا يخشى شيئاً بينما كان يخشى في العهد البائد شرطياً»[2]، «إنّ الكلام الصحيح هو إنّكم ـ الأمريكيين ـ أخذتهم مجرمنا ـ الشاه ـ واحتفظتم به فأعيدوه إلينا. أعيدوا إلينا هذا الشخص الذي قتل شبابنا، ونشر أرجلهم وأيديهم بالمنشار، وشواهم في الأفران الكهربائية»[3].

الصورة في خطوطها العريضة وفي كثير من تفاصيلها متكرّرة هنا وهناك، على يد هذا الطاغية أو ذاك؛ تغريبٌ وتهجين حضاري مخطّط شامل، وملاحقة للأصالة في كل رموزها ونخبها، ومؤسساتها وبؤرها، ومنابعها وامداداتها، وامكاناتها وفرصها، واستهانة بالدماء والأموال والأعراض والمقدورات والمقدّرات للأُمّة، ونهب

(١) صوت الأُمة، العدد ٢١ ـ ٢٢، ٧، ١٥/ تشرين الأوّل ١٩٨١م.
(٢) رسالة الحرمين، العدد ٢٣: ٤٣.
(٣) الشهيد، العدد ٣٠: ٨، ٨ محرّم ١٤٠٠ هـ.

وغصب وسرقة لجهود الناس وثمار عرقهم، وتيئيس وتحقير وارهاب ورعب من أجل أن تنسحق ذات الإنسان، وأن تموت الإرادة وتذوي الثقة ويذبل الأمل، ولتصغر الذوات والقيم والهموم والتطلعات والرؤى لأنّ الطاغية صغير فلا تطأطئ له إلا الرؤوس الصغيرة، وحقير فلا ترضاه إلا النفوس الحقيرة، ولا يستقر وضعه المتسلط إلا بأن تُندككل القيم، ويُسحق كل الخلق.

٢- أداة الثورة: ثورة كربلاء أداتها دم طاهر فوّار، التهب كلمة حمراء بنّاءة نفّاذة معطاء، وكلمة حيّة حقّة قرآنية خطّها دم ناطق من دم الأزكياء الأحرار، فكان من الكلمة المضمخة بالدّم، والدّم المتفجّر كلمة حمراء لاهبة، سلاحاً قاوم تاريخ الانحراف كلّه من يوم شهيد الطف، وظل يحامي عن الإسلام المحمديّ الأصيل، ويبني للأمة وعياً وضميراً، ويسلّط على الطاغوتية أضواء فاضحة، ويعمّق روح الحنين إلى الأصالة، ويجذّر الإباء، ويمكن للشعور بالكرامة، ولروح البذل والعطاء، والتضحية والفداء، فكان من ذلك كربلاء الثانية بقيادتها الكبيرة من صنع سيّد الشهداء، وشعبها الثوري الأبي

المشبّع بروح الحسين عليه السلام، وكان السلاح هو السلاح: الكلمة الصادقة كلمة القرآن والحسين عليه السلام، والدم الرسالي دم الأولياء والصالحين. عادت كلمات الحسين عليه السلام تنطلق بحرارة إيمانية عالية، وصدق تزخر به الأعماق، تُسمع وكأنها تنطلق من فمه الشريف توّاً لتُخصب قلوب المؤمنين ولتفجّر ينابيع العطاء والتضحية في ذواتهم الكريمة، ولترعب الكافرين والمنافقين وتقضّ مضاجع الطواغيت في قلاعهم؛ عادت تسمع حيّة نابضة لاهبة فاعلة خلاقة كما كانت أول يوم، وهي تنطلق من حنجرة الرسالة على لسان الخميني البارّ من عشّاق الحسين عليه السلام وكبار خريجي مدرسته المباركة، مدرسة الرسالة والثورة، وعاد مع الكلمة الحمراء الدم زاكياً قانياً دفّاقاً تبذله شيعة الحسين عليه السلام تدفع به شلالاً يولّد النور ويطرد الظلام، ويكتسح الطواغيت، ويبعثر بنية الضلال.

الكلمة المشبعة بالوعي، العبقة بالإيمان، المنطلقة من روح الفطرة، ومنبع الضمير، والدم المتدفق في شرايين واحدة مع هذه الكلمة، وهذه الروح والعَبَق، وطهر الضمير سلاح ولو شحّ السلاح، وعدّة وإن لم تكن عدة؛ لكن هذه الكلمة وهذا الدم ليس الكثير في الناس، وإنّك

لأقدر أن تجد سلاح الحديد والنار من أن تجد سلاح الكلمة الصادقة الفوّاحة بالوحي والهدى عن يقين، وسلاح الدم الرسالي الطاهر، دم الأولياء والصالحين إلا من مدرسة الحسين وأبي الحسين وجدّ الحسين وأبناء الحسين عليهم السلام.

وهو سلاح فعّال هزّام منطبق يهدم ويبني في حين؛ يهدم كفراً وضلالاً وعمىً، ويبني إيماناً وهدىً وبصيرة؛ وعلى خلاف غيره يظلّ يفعل مدى الزمن ولا يحدّ فاعليته مكان للمعركة ولا زمان.

برغم ما حاوله الإمام الحسين عليه السلام من حشد كل سلاح مباح في وجه الطاغية، إلا أنّ الشواهد قائمة على أنّه على بصيرة من أن الأمر آئل إلى الاقتصار على سلاح الكلمة والدم والموقف والشهادة. ففي كتابه إلى بني هاشم الذي بعث به إليهم مبكراً من مكة: «**فإنه من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح**»[1]. ونطقت روحه الكبيرة الزكية المضحية على مقوله الشريف في خطبة له في مكة وكأنها إعلان بركان، فجاء فيها: «**خُطّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة. وما**

(١) الوثائق الرسمية، القزويني: ٤٧، عن كتاب عبرة المؤمنين، جواد شبر: ١٧.

أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف. وخير لي مصرع أنا لاقيه. كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشا جوفاء، وأجربَة سغبى لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل بيت»[1]، ثم يقول: «**ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى**»[2]. أفلا تراه عليه السلام وهو يعقّب على نبأ استشهاد قيس بن مسهر الصيداوي ماذا يقول[3]؟! لقد تلا قوله تعالى: ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[4].

هذا هو السلاح الذي عوّل عليه سيد الشهداء في معركته الإسلامية المصيرية الحاسمة؛ كلمةٌ دمٌ دفّاق ملتهب، ودمٌ كلمةٌ قانية فوّارة خالدة؛ فعندما لم يكن عدد ولا عدة كانت الكلمة والدّم المتعانقان، وكانت الشهادة وبلاغات الرسالة، فكان الزلزال الكبير الذي لم تحتضن الأُمّة بعده كرسي حكم ظالم وكان النصر المعنوي الذي

(١) المصدر السابق: ٧٧، عن مقتل الحسين للأمين: ٦٣.
(٢) المصدر السابق: ٧٨.
(٣) المصدر السابق: ٨٨، عن مقتل الحسين للأمين: ٧١.
(٤) الأحزاب: ٢٣.

يتجلّى في غربة الطواغيت في الأُمّة، وانفصالها عنهم بضميرها ووعيها، وفي تحفزها ليوم الإسلام، والثقة بأئمته ورموزه.

وجاءت كربلاء الثانية ومفجّرها العظيم لتشهر سلاحاً حقق النصر على يد الحسين عليه السلام في قلة من العدد والعدة، ومحاصرة من الظروف وخذلان من الأُمّة؛ وكان حضور الأُمة هذه المرة قويّاً فاعلاً وعطاؤها مدراراً، ووفاؤها مشهوداً؛ كيف لا وهي أمّة خرّجتها كربلاء الحسين عليه السلام فأبت على محاولات الطغاة أن تذوب وتفقد صلاحية الانبعاث.

سلاح كربلاء الثانية الذي دك حصون الطاغية ورمى به في مزبلة التاريخ، وركع الطغاة في واشنطن وموسكو وكل عواصم الاستكبار العالمي، هو نفس السلاح الذي هزمت به كربلاء الأولى إرادة الشياطين الذين خطّطوا لمحو الإسلام وطمس معالم الأُمة. يقول إمام الثورة قدس سره: «لكن ذلك ـ يعني تقديم ١٥ ألف شهيد في ١٥ خرداد سنة ١٩٦٦م ـ أصبح بداية صفحة جديدة لانتصار الإسلام والشعب المسلم، كما أصبح استشهاد سيد المظلومين، وأنصار القرآن في يوم عاشوراء بداية حياة

خالدة للاسلام، وحياة أبدية للقرآن الكريم»[1]. ويقول في هذا السياق مضيفاً: «إن الاستشهاد البطولي للشعب الإيراني المظلوم قد حطّم الحكم البهلوي والبهلويين الذين همّوا باسم الإسلام أنّ يبعدوا الإسلام عن المسرح، ويستعيضوا بالأفكار الغربية وما تجتره أمريكا بدل الوحي. وفي الحقيقة إن الانتصار في يوم ٢٢ بهمن ١٣٥٧هـ.ش كان حصيلة لانتفاضة ١٥ خرداد ١٣٤٢ هـش»[2]. فيوم النصر دائماً من يوم التضحية، واشراقة الفتح في دماء الشهداء، وحياة الأُمة وعزّتها إنما تبتدئ مع أوّل قافلة من شهدائها الرساليين، وإنما تبزغ شمس الحرية والنصر من أفق الدم القاني المتدفق على طريق الله الملتحم بأفق الرسالات. والأُمّة التي لا تستذيق طعم الشهادة لابد أن تستمرئ طعم الذل، ولا تعرف قيمة العزّ وعذوبة الانتصار.

ونلتقي كلمة أخرى للسيد الإمام قد قدّم في سبيل الله من الطفل ذي الستة أشهر وحتى الشيخ ذي الثمانين عاماً. وهذا لهو اقتداء بسيد الشهداء سلام الله عليه، أعظم شخصية تأريخية.

---

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ١، ١٦/ شهر رمضان ١٤٠١ هـ.
(٢) المصدر السابق.

لقد علّم سيد الشهداء سلام الله عليه الجميع كيفية مواجهة الظلم والجور والحكومة الجائرة؛ إذ كان يعلم منذ البداية بأنّ الطريق الذي يسير فيه يستوجب منه التضحية بجميع أصحابه وعائلته، وأن يقدم هؤلاء الأعزاء على الإسلام ضحايا في سبيل الإسلام، وكان أيضاً على علم بمصيره... فقد علّم الجميع وعلى مدى التاريخ بأنّ طريقه الذي اختاره هو الطريق الذي يجب عليهم أن يسلكوه»[1].

نعم نازلت الكلمة الصادقة مأخوذةً من معدن الوحي على يد السيد الإمام مصبوغة بدماء عشّاق الرسالة من أبناء شعبه؛ خريج مدرسة الحسين عليه السلام والدم الطاهر المشفوعٌ بكلمة القرآن، نازلاً سلاحاً رساليّاً واحداً الحديدَ والنار والاستكبار، فحقّقا نصراً ساحقاً للإسلام، وهزيمة منكرة لأعدائه كما كان دم الحسين وكلمة الحسين عليه السلام؛ وبهذا تضيف كربلاء الأصل من خلال كربلاء الشعاع تأكيداً لقيمة هذا السلاح: كلمة الوحي مكتوبة بدم الأولياء، لتقول للأمة اطلبي لمعركة الحقّ مع الباطل كل

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ١٧، صفر ١٤٠٣ هـ.

سلاح مباح، ولن تُقدَمي عند فقد السلاح هذا السلاح، وهو أول سلاح وآخر سلاح.

المحور الخامس : النتائج

الوزن الحقّ لا يَلحظ بنظر التقييم من شأن الإنسان في مقام المحاسبة إلا العمل الواقع في دائرة الاختيار. أمّا نتائج العمل فليست محل المحاسبة والتقييم الذي ينسحب أثره على الفاعل إلا بمقدار مسؤوليته عن المقدّمة، وهي نفس العمل محل الاختيار. وكالنتاج ما خرج عن الاختيار من مقدّمة مساعدة أو مانع معوّق مما له دخل في التسريع بالنتيجة أو تعطيلها أو زيادتها أو نقيصتها أو الحيلولة دونها، فذلك خارج عن الحساب ومنفصل عن قيمة العامل؛ على أنّ المكلّف مسؤول في موارد تشخيص التكليف الذي يترك له أمره أن يكون عقلائيّاً في تحركه، مدخلاً في حسابه كل العوامل التي يمكن أن يطولها النظر مما يؤثر على النتيجة وحجمها وتناسبها مع الجهود المبذولة، وإن كان من تلك العوامل ما هو خارج الاختيار تجنباً للعبثية والهدر المجاني

للجهود؛ ذلككما في باب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فحينما يدرس من الثورات جانب النتائج المترتب عليها، إنّما يدرس في مقام تقييم الثورة بلحاظ دقّة الموازنة وصوابية النظر الموضوعي الذي قام عليه قرار الثورة وتوقيتها،أو عدم الدّقة والصوابية في ذلك، وأنّ القيادة تتمتع بالحكمة العملية أم لا، وما هو مقدار نصيبها من هذه الحكمة حسبما كانت عليه ظروف الثورة وما يحيط بها، وحسبما تمخّض عنها من نتائج؟ وكم كانت دقة التدبير وحنكة الإدارة، وفنية (التكتيك) ودرجة التحمل والمواجهة التي تكشف عنها مقارنة النتائج بالظروف والإمكانات المتاحة؟ وفي حسابات الرساليين يستأثر عامل الإخلاص والإمداد الغيبي المترتب عليه بقيمة عالية في ترتب النتائج الموجبة، وتجنب النكسات، لكن لا يعفي الإخلاص عند أحد عن دراسة الموضوع وطلب الدقة في التشخيص والموازنة بين ما يبذل وما يحصل، والتوخي الخارجي لأقصر الطرق وأنجحها وأقلّها كلفة في تحقيق المطلوب.

وما بذل في كربلاء هو أكبر ثمن تبذله ثورة؛ دم الحسين عليه السلام وليس فوقه يوم كربلاء ولا بعده دم، ودم أنصار كبر شأنهم على شأن للبدريين هو مضرب المثل، وسبي خفرات بيت هو الأطهر في الأرض؛ فماذا عسى أن تكون تلك النتائج المترتبة على الثورة حتى تعدل ذلك الثمن؟!.

ما حدّده أبو عبدالله عليه السلام هدفاً لاستشهاده واستشهاد أنصاره الميامين بدأت الساحة الإسلامية يوم ذاك تشهده على إثر يومه الدامي الشريف، وتسيير كريمات الرسالة سبايا من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام نتائج ملموسة تتحقق يوماً بعد يوم في العقول والأنفس والمواقف ومعترك الحياة، وظلّت النتائج تتدفق على الزمن بناء للأجيال، وتركيزاً لقيم الدين والثورة، وحماية للأمة من الذوبان والهزيمة، ومطاردةً لحكم الطواغيت، وتعرية لما يريد هذا الحكم تركيزه من إسلام أرضيّ مزوّر.

وكلما كانت النتائج مجسّدة لأهداف الثورة التي انطلقت منها كان في ذلك برهان بيّن على حنكة الثورة ووعيها الموضوعي، ودقّة التقدير والرؤية الصائبة

والبصيرة النافذة لقيادتها، والوفاء للرسالة التي تتحمل قضيّتها. وقد تقدم في بحث منطلق الثورة أن بعث الإسلام المحمدّي الأصيل وإنسان الرسالة والدفع بهما إلى الإمام، ومعالجة أوضاع الأُمة كان هو الهدف الجامع للثورتين الأصل والشعاع؛ الحسينية والخمينية المباركتين. وتقدّم أنّ ثورة كربلاء المقدسة قد ترسّمت هدفين طوليين في النصر هما نصر السيادة، ونصر الشهادة؛ أو قل: إنّ المطلوب الأوّل للثورة والذي لابد فيه من حيوية عنصر الأُمة هو سيادة الخط القيادي الأصيل فعلاً، ورجوع الإمامة السياسية عملياً إلى هذا الخط الذي عيّنه الله وأوجبه، والمجسّد يوم ذلك كاملاً في الإمام الحسين عليه السلام متعيناً لا سواه. والتمكين للامام الحقّ هو الضمانة التي جعلها الله سبحانه لحياة الإسلام وبعث الإنسان وصلاح الأرض. ومن دون هذا التمكين فالإصلاحات مجزوءة، والتغييرات قاصرة، والنتائج يتهدّدها الضياع؛ فمادامت هيمنة الطاغوت قائمة في الناس فلا الدين في أمان، ولا الإنسان في سلام، ولا الأرض في بركات.

وكان لثورة كربلاء مطلب آخر في طول ذلك المطلب لا يعتمد عنصر الأُمة في جماهيرها العريضة في

العملية التفجيريّة الأولى، ويكون القصد إليه عند تخلي الأُمة عن دورها التغييري والاستجابة المكتوبة عليها شرعاً لنداء القيادة الإلهية الصالحة للثورة على الطغيان، ودك حصونه تمكيناً لهذه القيادة وانتصاراً للاسلام والإنسان؛ وهذا المطلب الطولي هو أن يشقّ خط القيادة الأصيل طريقه إلى وعي الأُمة وشعورها من خلال موقف التضحية الحاشد البريء كل البراءة من تطلعات الدنيا ومكاسبها، والقادر على أن يهزّ بدويّه ضمير الإنسان، ويطلق عنده الوعي، ويُكبر في نفسه قيمة المبدأ، ويُريه كرامة الذات، وحجم مؤامرة الطاغوت، وينسف شبح الخوف من نفسه، ويستعلي على الرغائب الصغيرة، ويبقي الأرض راجفة دائماً تحت أقدام الطواغيت حتى تنطوي صفحتهم السوداء من خلال تنامي الأُمة إيماناً ووعياً وشعوراً، والتحاماً بخط القيادة الأصيل في رموزه المتوالية، وهو الالتحام القادر على تحطيم كل الطواغيت وإنهاء مأساتهم البائسة.

وقد حدّد الموقف السلبي من الأُمة يوم الحسين عليه السلام أن يكون الخيار هو الشهادة، وسنخَ النصر المترتب عليها.

وباستشهاده عليه السلام ومن معه من أهل البصائر، وما أعقب مصرعه الشريف من دور البطلة زينب عليها السلام والفاطميات الطواهر، في طريق السبي الطويل وفي مجلس ابن زياد ثم يزيد، وما كان للصوت المجلجل بالحقّ للإمام زين العابدين عليه السلام ودوره اللاحق المعقّب على يوم كربلاء، يوم الله العظيم في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله؛ نعم بذلك وما أن طُلّ دم الإمامة المشع الأخاذ، إلا وبدأت الأرض تهتز تحت عرش كل طاغية في بلاد الإسلام، والغربة تفرض نفسها على كل طاغية في الأُمة، وبدأ الرفض الثائر في صورة الكلمة الحاسمة المواجهة، وفي صورة الثورات المسلّحة المهاجمة؛ فمبكراً قال عبدالله بن عفيف كلمته الجريئة اللاهبة في وجه الطاغية ابن زياد وعلى مسمع منه: «يابن مرجانة الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك والذي ولّاك وأبوه. يابن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟»[1]. وفي جواب على سؤال لابن زياد: «من هذا المتكلم؟» قال ابن عفيف: «أنا المتكلم يا عدو الله. تقتلون الذرية الطاهرة

(١) مقتل الحسين، المقرّم: ٣٢٧.

التي أذهب الله عنهم الرجس وتزعم أنّك على دين الإسلام؟ واغوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمّد رسول ربّ العالمين؟!»[1]. وسمع المختار ابن زياد ينال من أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته فثار في وجهه وشتمه وقال: «كذبت يا عدو الله وعدو رسوله، بل الحمد لله الذي أعزّ الحسين وجيشه بالجنة والمغفرة وأذلّك وأذلّ جيش يزيد بالنّار والخزي»[2]. ودخلت السنة الثالثة والستون فأظهرت المدينة خلع يزيد بن معاوية، وكانت الحركات بعد ذلك والمواجهات الدامية، ونشطت روح الثأر للدم الزكي دم أبي عبد الله عليه السلام فكانت ثورة التوابين وثورة المختار، ثم لم يطل بكرسي الملك الأموي زمانه؛ فما أسرع ما تبعثر بلا مجد ولا كرامة، ليبقى الخزي والعارسمته الأبدية الثابتة، وعنوانه الخالد في التاريخ.

والمهم كل المهم أنّ الثورة الحسينية المباركة قد أعطت نتائج مركزة بالغة الأثر كانت الضمانة في تاريخ

(١) مقتل الحسين، المقرّم: ٣٢٧.
(٢) المصدر السابق: ٣٣.

الرسالات وميراث الأنبياء، وحماية إنسان الأُمّة من الذوبان والغربة التّامين، وإيجاد تيار رسالي فاعل في حركة الأُمّة. ولنقف على بعض هذه النتاج في مرور عابر:

١ـ لا فصل بين الدين والسياسة: الفصل بين الدين والسياسة قولة كاذبة بدأ تسويقها عملاً مبكراً من سلاطين الجور في الأُمّة، وتمسك بها كل أعداء الدين و المتآمرين عليه، وانساق وراءها البُلهُ والبلداء وطلاب الراحة واللين، وأعداد من النفعيين والانتهازيين بدافع الجشع الدنيوي الذميم؛ هذه المقولة المفتراة قصد الإمام الحسين عليه السلام إلى اسقاط فاعليتها بنزيف دمه الشريف وبكلماته المعصومة الحجّة، فتحرّك عليه السلام وأوّل ما كان يقصد إليه أن يسقط حكم الطاغوت، ويسترد للحكومة الشرعية موقعها، وللاسلام حاكميته، كما حارب جدّه صلى الله عليه وآله من أجل الإسلام تنزيلاً وحكومته تأسيساً، وكما حارب أبوه سلام الله عليهما من أجل الإسلام

تأويلاً وحكومته بقاءً، مؤكداً على أنّ الإسلام لا ينفصل في أي يوم من الأيام عن السياسة، وأنّ السياسة لا يصح ان تنفصل بأي حال من الأحوال عن الإسلام.

٢- خطّ حاكم واحد: ما يحكم عالم السياسة وأوضاع الدولة الإسلامية إنما هو إسلام الإمام، فإن كان هو وإسلام القرآن والسنة شيئاً واحداً كانت الدولة محكومة للاسلام، وإن كان إسلام الإمام مغايراً لإسلام الكتاب والسنة كانت الدولة محكومة لغير الإسلام بمقدار هذه المغايرة؛ لذلك لم يكن بد أن يعيّن الله سبحانه الإمام الذي يطابق علمه علم الكتاب والسنة، ولا يخالفهما أو يعتريه بعض جهل بهما، والذي من وزنه أن يتحمّل كاملاً أمانتهما علماً وعملاً، لا يردُّه عن ذلك شيء من نفسه ولا من غيره أبداً؛ وهذا الإمام ولايته من ولاية الله وطاعته من طاعته، وأوّل ما يُنظر في شرعية الإمام وحكومته أن يكون ممّن أذن الله بولايته أو ممّن لم يأذن، ولا يكفي للشرعية أن يطبّق من الإسلام ما علم ويقف عما جهل؛ فهنا أمران قد يجتمعان في الحاكم الجائر كل منهما مستوجب للانكار عليه. الأول: توليه ما ليس له وهو ظلم

فاحش لا يغفره له أن يعدل في النّاس بمقدار ما علم. والثاني: جوره في الحكم والإرادة.

وثورة الإمام الحسين عليه السلام مواجهة حدّية لما اجتمع في يزيد من المنكرين معاً، واسقاط شرعي بلغة الدم والسيف لأي خطّ حاكم وأي ولاية سياسيّة مفصولة عن الولاية الإلهية؛ وهي تلك الراجعة إلى ولاية الله والثابتة للحاكم بإذنه، وهي ولاية لم تثبت أصلاً إلا للمعصوم، وتبعاً إلا للفقيه العادل مع لحاظ الشرائط الأخرى المعتبرة في هذا المجال.

إنّ التأكيد على خط الولاية الإلهية وحكومة المعصوم ومن أذن له المعصوم بالإذن الخاص أو الإذن العام، واسقاط الشرعية عن أي خط حاكم آخر في الأُمّة درسٌ نطق به دم سيد الشهداء وبيانات ثورته المباركة، وتلقته أجيال مدرسته الثورية الإسلامية الصافية باستلهام ووعي، فلم تعط يدها لأي خط حاكم ينحرف عن صراط ذلك الخط المتمثل في ولاية المعصوم ومن ثبت له منه الإذن بالخصوص أو العموم.

وإنّك لتجد من بيانات الثورة الحسينية الخالدة ثورة على الحكم الأموي في كل من اغتصابه للولاية، وجَوره

في النّاس ومعاداته للأمّة وسوء سيرته، مؤكدةً على أن الحكومة في الإسلام خط واحد لا أكثر هو خط الولاية والإمامة القادر على تجسيد الإسلام بصفائه ونقائه وصدقه وعصمته، وما ينتج عن ذلك من الولاية الامتدادية النيابية للفقيه العادل حسبما يثبته الدليل.

يقول أبو عبد الله عليه السلام: «**فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحقّ الحابس نفسه على ذلك**»[1]. والأوصاف في هذا النص مصداقها الكامل إنما هو المعصوم عليه السلام. وانظر إلى تركيز الإمام عليه السلام على خللين مستقلين في ولاية يزيد وأمثاله، كل واحد منهما مسقط لولايته؛ وهذا ما تشبَّع به وعي الحسينيين في كل التاريخ وجعلهم يرفضون الاعتراف بشرعية أي حكومة لا ترجع ولايتها إلى ولاية الله كما تقدّم. يقول أمام كتيبة الحر: «**أيها النّاس، فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله عنكم، ونحن أهلَ بيت محمد أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان**»[2]. فالمعرفة النظرية

(١) الوثائق الرسمية: ٥٢، عن تاريخ الطبري ٤: ٢٣٥، ومقتل الحسين للأمين: ٣٣.

(٢) المصدر السابق: ٩٨، عن مقتل الحسين للأمين: ٨١، والطبري ٤: ٢٩٨.

والاعتراف العملي بخط الولاية وأهله، وهم معيّنون معدودون، لابد منهما في الدين ولا تتم التقوى إلا به. ثم إنّ الشرعية منتفية عن أي خط مقابل قبل النظر لما في تطبيقاته من ظلم أو عدل؛ ذلك أنه خط مكذوب على الإسلام، وهو ظلم لا يشفع معه عدل، وكلمة الإمام عليه السلام أوّل ما تبرز ادعاء بني أميّة الولاية زوراً وكذباً، ثم العمل في النّاس بالجورِ والعدوان.

وعندما أُسقطت الثورة الحسينية المباركة في نفوس أجيالها شرعية الحاكمية في خطوطها المزوّرة، اسقطت عند ذلك قدسية المؤسسة الدينية المرتبطة بها، والتي لا تحتضن عادة إلا وعاظ السلاطين وخدمة الطغاة من أصحاب الدّور التبريري لسلطة الطغاة وسياستهم.

٣ ـ بعث الخط الأصيل للولاية: بدأ بعد حوادث الطف الدامية وما أعقبها من تسيير بنات الرسالة سبايا إلى الكوفة، ثم إلى الشام تقدمهن رؤوس الشهداء على أسنة الرماح أو مقدّم الخيل، تعاظم كبير في الالتفاف الجماهيري العاطفي على أهل البيت عليهم السلام للروح الفدائية العالية والتضحيات السخيّة التي قدّمها الإمام الحسين عليه السلام والنخبة من أهل بيته وأنصاره في سبيل الله انقاذاً للأمّة من

براثن الحكم الظالم، ولانفضاح همجية ذلك الحكم وعمق جاهليته وبعده عن قيم الإسلام الثابتة، ولفداحة المصاب الذي ألمّ بأقدس بيت على وجه الأرض والفجائع البشعة التي مارسها الحكم الأموي في حقّ آل رسول الله صلى الله عليه وآله، كما ارتفع الوعي السياسي وتجلت أهمية البيت العلوي في انقاذ مستقبل الأُمّة، وبدأت تتجذر وتتسع روح الولاء السياسي لأهل البيت، ولم تجد النخب العلمية مصدراً علمياً صافياً ومرجعاً فكريّاً مأموناً، ومنبعاً ثرّاً لحقائق الوحي وعذب نميره إلا في أئمته المعصومين عليهم السلام، وتعاظم أمل الانقاذ تعلقاً وتشبثاً بالرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله حتى لم يعد انتظار الفرج من عند الله عزّوجل للإسلام والأُمة والعالم إلا من طريقهم.

٤- **الثورة من داخل الأُمة:** الثورة من داخل الأُمة ومن مواقعها الشعبية على الحكم الاستبدادي، والرفض المناهض للوجودات السياسية الفاقدة للشرعية القرآنية، واسترخاص كل ثمن على هذا الطريق احقاقاً للحقّ وابطالاً للباطل وذوداً عن حمى الإسلام والأُمة ومحافظة على النقاء والأصالة لهما؛ هذا كله يكوّن ثقافة ثورية

خاصة لم يكن للاسلام غنىً عنها، لئن أكد خطّها كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله فلقد حفر الإمام الحسين عليه السلام وثورته هذا الخط في وعي الأُمّة وذاكرتها وممارساتها، في مهرجان دموي صاعق وبركان مزلزل لا يدع فرصة للنسيان. وتميّز هذا الخط الثقافي الثوري من بين مجمل الثقافة الإسلامية البانية الراقية بشدة الفاعلية وسعة الشمول لمختلف المستويات الفكرية، وبحيوية مؤسساته وسمتها العملية المستقطبة، وتطوره في الممارسة والأسلوب، واستعصائه على الدوائر المعادية في محاولات الاحتواء.

وإلى جنب كونه مصدر تموين حياً ودافقاً يمدُّ الأُمّة بالوعي الثوري، وينشّط شعورها على هذا الطريق، ويلهب حماسها من أجل الإسلام، ويؤكد خط الولاء الأصيل، ويعمّق قدسيته في النفوس، ويحمي الأجيال من الذوبان في الموجودات السياسية المفروضة على الأُمّة بعيداً عن قناعاتها ومقتضيات إيمانها؛ إلى جنب ذلك تجد هذا الخط يقوم رافداً مهمّاً من روافد الفكر الإسلامي العظيم في مساحاته المختلفة.

ويكفيك من عطاء هذا الخط أن خرّج أمّة الثورة الخمينية المباركة ليحقق الحسين المنتصر في كربلاء

نصره السّاري الضخم، النصر الآخر الكبير في إيران ليرفد النصران المباركان معاً حركة التحرر الإسلامي والعالمي الشامل بروح الثورة والتقدم والفاعلية والأمل السعيد.

وتلتقي الثورة الشعاع مع الثورة الأمّ أهدافاً ونتائج؛ فالأهداف هي الأهداف كما تقدّم في محور القضية، وتتجسّد في إنقاذ الإسلام الحقّ من إسلام الدجل والزور، ومن مؤامرة اسقاط الإسلام من داخله، وتغريبه التغريب الكامل عن أصوله ومرتكزاته وأُسسه، وفي تحرير الإنسان التحرير الكامل داخله وخارجه من سيطرة الشياطين وأسر الأوثان لينطلق بإرادة حرّة واعياً راشداً في سير صاعد إلى الله، وفي قطع يد الغصب والسرقة والعدوان على امكانات الأُمّة وثرواتها؛ لتكون عوناً لها في بناء وجودها الحضاري المستقل، وأداء رسالة الإعمار والهداية والترشيد والتقويم للحركة الحضارية الشاملة في الأرض وربطها بخط الرّب.

والنتائج هنا في الثورة الامتداد كبيرة كما في ثورة الحسين عليه السلام؛ ثرّة خصبة تملأ العيون وتسرُّ قلوب المؤمنين.

١- سحق الحكم الشاهنشاهي الجاهلي، وإقامة حكومة الإسلام أوّل مرة بعد حكومة صدر الإسلام،

بفاصلة تزيد على ثلاثة عشر قرناً لم تعرف فيها الأرض حكومة شرعية إسلامية واحدة، في وقت بلغ اليأس مبلغه في نفوس الكثرة الكاثرة من أبناء الأُمّة من عودة الإسلام للحكم على الأقل قبل ظهور الإمام القائم عجل الله فرجه، وتمكن هذا الشعور المقعد في القلوب الذي غرسته يد الكفر العالمي والدوائر العميلة له في بلاد الإسلام. والحكومة الشرعية الممثلة بحكومة الولي الفقيه قضية رفع شعارها السيد الإمام (رضي الله عنه)، وأطلق وعي الأُمة في اتجاهها وتبناها هدفاً من أهدافه الإسلامية المجيدة، وجاهد مستميتاً في سبيلها حتى أقرّ الله عينه وعيون المؤمنين بقيامها على يده المباركة وفي ظل ولايته الميمونة.

وكان الكلام عنها في بداياته، وبعد أشواط من الجهاد على طريقها أقرب في نفس العديد من أهل العلم والنظر إلى ضروب الخبال منه إلى الواقع، إن لم يكن فيه من تجاوز أمور الدين ما يُدين قائله.

٢- ضخّ هذا النصر الهائل أملاً ضخماً عند سائر المسلمين في عودة حكم الإسلام في مختلف ديارهم؛ تمهيداً لقيام الحكومة العالمية التي ترفرف الإسلام فيها

بالعز والمجد والهدى والسلام على كل بقاع المعمورة؛ لتعيش في ظل أروع حياة إنسانية حافلة بالإيمان والعلم والكرامة والأمن والبركات، مما يتفجر من عطاءات معنوية ومادية غامرة على يد المذخور من آل محمدﷺ أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

وقد تنامى في ظل النصر المؤزر والأمل الكبير وعي إسلامي سياسي رشيد تمحور حول ولاية الوليّ الفقيه، وامتدت الصحوة الإسلامية العامة لتشهد بركاتها بلاد الله في شرق وغرب وفي كل مكان. وانتشر حسّ عمليّ إيجابي فاعل هنا وهناك، ونشط مفهوم الانتظار في حيوية وإيجابية وعمق ليصبح ثقافة سياسية ميدانية فاعلة منتجة. وتمّت نقلة هائلة في أوساط الأُمّة العامة والأوساط الثقافية الخاصة من إسلام خجول برؤية ضيّقة، وروح إنهزامية، ومواقف مهتزّة، وتنكر للمفاهيم الأصلية طلباً لشهادة البراءة من عند أدعياء الفكر والثقافة من مصادر الكفر والإلحاد والزندقة من الشرق والغرب، والتيار العميل الذليل التابع لها في بلاد الإسلام؛ تمت نقلة هائلة من إسلام سلبي بائس هزيل مكذوب إلى إسلام قرآني جاد قوي متين رصين فاعل مهاجم، يثير الوعي، ويبعث

الإرادة، ويحيي الأمل، ويزرع الثقة، ويرشِّد الخطى، ولا يقبل الغريب، ويتبرأ من الدخيل، ويؤكد على الأصالة، ويفخر بمفاهيمه وثقافته وأخلاقيته ورؤاه وخطاه، ويعلنها صرخة مدوّية في العالم كله باتباع أطروحته السماوية الهادية المباركة المنقذة.

وبدأت انطلاقة إنسان الأُمة في مواجهة حضارية فاعلة لجاهلية الكفر والإلحاد والتميّع والفساد والنهب والسلب والقتل بمفاهيمه القرآنية الإيجابية البناءة، ووعيه الرشيد الهادي، وإرادته الإيمانية الخيّرة، وروحه المنفتحة على الله والإنسان بعد سبات وركود وجمود، وبعد انهزامية وسلبية وتقهقر أوقعته فيها الأنظمة الرجعية المتهرّئة والحكومات العميلة والتيارات الثقافية المتسللة.

٣- تمخضت الثورة الإسلامية المباركة في إيران عن قيام كيان سياسي جديد يعتمد حكم الله في تشكيلته السياسية، ويتجه إلى تحويل كل الأوضاع إسلامية وفقاً لقوانين الشريعة وأخلاقية الدين وقيمه، ويتميز عن كل الأنظمة في البلاد الإسلامية وغيرها باستقلالية سياسية فريدة عن كل محاور الاستكبار العالمي من الدرجة الأولى وغيرها؛ الأمر الذي يؤسس لخط سياسي عالمي

جديد يقوم على مناقضة مع الاستكبار العالمي في كل محاوره، ويبشر بغد إسلامي وتاريخ إيماني حاف يزخر به مستقبل عالمي شامل جديد.

٤- بقيام الحكومة الإسلامية تكون الثورة قد فتح الباب لإقامة المجتمع الإسلامي النموذجي في أرض الإسلام ايران، وإيجاد التغيير الشامل الذي يتحمل مسؤولية التطوير والاصلاح والتغيير الإسلامي الإيجابي الملتزم لكل ميادين الحياة في هذا المجتمع، من ثقافة واقتصاد واجتماع وفن واعمار وأمن وصناعات عسكرية وقوىً قتالية وغيرها، بما يثري كل هذه الميادين ويقدّم منها شهادات عملية صارخة بكفاءة الإسلام وعدالته وأمانته وجدّيته وهداه، وفي هذا الدعوة العملية الأكثر صدقاً وأثراً إيجابيّاً للنموذج الإسلامي على مستوى العالم كلّه.

وعن طبيعة النصر الذي حقّقته الثورة وحجمه الهائل في صورته المجملة تقول كلمة السيد الإمام (رضى الله عنه) لتعبّر تعبيراً حيّاً باختصار وقوّة وصدق عن واقع كبير خارجي: «يجب أن نضع ما خسرناه وما حقّقناه في الميزان. لقد أحيينا الإسلام في الوقت الذي لم يكن يبقى

من الإسلام إلا الاسم»[1] ما كان باقياً من الإسلام جانبه العبادي بالمعنى المصطلح في قطاع من الأُمة كان لا يُرى شيئاً، وكانت العبادة عنده فاقدة في الأكثر معناها ودفعها وفاعليّتها، فانبعث الإسلام الحيّ الفاعل بالثورة ليحيي مساحات من حياة الناس في إيران تلو مساحات حتّى تستكمل الثورة وهدفها المقدس بتحكيم كلمة الله في المساحة الكاملة من حياتهم، وقد حركت الثورة روح الإسلام في نفوس خلق كثير في أبعاد عديدة من أرض الله وفي عقولهم وضمائرهم وأوضاعهم. كان الإسلام عملاً في قوقعة يحاصره الطاغون؛ فأطلقته الثورة في انفجار هائل مكن له في هذا البلد الكريم، وأطلق اشعاعاته الهادية، وروحه الباعثة إلى مختلف الآفاق لا تردّها السدود ولا الحدود.

وحين ننظر إلى الثورة في ثمنها الباهض من الدماء والأموال والمعوّقين واليتامى والمرمّلات، وما لا يحصيه إلا الله من النصب والآلام والآهات والأزمات، وفي ما حققته من نصر هائل وعز للاسلام والمسلمين، وفي ما تمثله من رد على تحدي الاستكبار العالمي للاسلام كله،

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٢١، جمادي الثانية ١٤٠٢ هـ.

وفي ما تعنيه تجربة الحكم التي تمخضت عنها من محك لكفاءة الأُمة ومبدأها وشريعتها، وفيما جسدته من أمل لإنسان هذه الأُمة، وما يعنيه نجاحها إن شاء الله أو لإخفاقها لا سمح الله من تأثير ضخم على الأُمة كلها حاضراً ومستقبلاً في تاريخ المواجهة مع حضارة الاستكبار؛ حين ننظر إلى ذلك كله تعظم أمام أعيننا مسؤولية الدولة في الحفاظ على أمانة هذه الثورة المباركة، وتجسيد قيمها، والإخلاص للرسالة التي تفجرت من أجلها؛ ولم تتفجر إلا من أجل عز الإسلام وصناعة الإنسان؛ من أجل الإسلام المحمدي الأصيل الذي يقدّس ويركز ويحمي كل حكم من أحكام الله في الأمر الكبير والأمر الصغير، ويعتز بكل شعيرة من شعائر الله، ويفخر بكل تعليم من تعاليم شريعته، ومن أجل إنسان الرسالة؛ من أجل روحه وعقله وقلبه وإرادته، ومن أجل بدنه ورفاهه وأمنه وتقدّمه.

وإنّ للأمّة كل الأُمّة في قائد المسيرة وربّان سفينتها سماحة آية الله ولي أمر المسلمين السيد علي الخامنئي، لأملاً وطيداً وثقة عالية في أن يكون الضمانة الكبرى بعد حراسة الله عزّوجلّ في حفظ المسيرة، والدفع بها قدماً

دائماً على خط الله لا تميل ولا تحيد عن قيم الرسالة وتعاليم الإسلام ومصلحة الأُمّة بلا تلكؤ ولا تذبذب؛ عين منها على يوم الحسين الشهيد عليه السلام؛ تمتري منه إباء وصموداً وثباتاً وثورة، وعين أخرى على يوم الظهور يوم قائم آل محمد صلى الله عليه وآله أرواحنا لتراب مقدمه الفداء؛ تستقي منه أملاً وروح عزّ ومبدئية وصرامة وخشونة في ذات الله ورسالية منفتحة على هموم الأُمّة وعالم المستضعفين، وتطلعاً لغوث كل مكروب ونصرة كل مظلوم وحماية كل مضطهد.

ولأنّ الثورة ونتائجها والدولة ومستقبلها مما يرتبط بهما مصير الأُمة بكاملها، فهي بتمامها تتحمل مسؤولية الحفاظ على الدولة، وحماية مكاسب الثورة، حفاظاً على وجودها العام وحماية لمستقبلها المشترك.

والآن من هو الخميني العظيم؟ إنّه العبد الذي عرف من جمال الله ما ولهه، ومن عزّ الربوبيّة، ما أذهله، ومن ذلّ العبودية ما أدّبه؛ ثمّ إنّه الولي الذي أذابه عشق درب الأولياء والساكين إلى الحقّ، فوجد نفسه على طريقهم يلذ له أن يعطى ما آتاه الله لعزّ الدين شاكراً، ويُجهد نفسه وبدنه لله راضياً، وعلى طريقهم يجاهد الشياطين ويذودهم

عن حريم قلوب المؤمنين، ويناهض الطواغيت، ويكسّر صنميّتهم الحقيرة.

إنّه وهو الثائر من أجل الله لصورة من غضبة الحسين، والمتجرّع مرّ الصلح مع عدوّ الله لدين الله، صورة من صبر الحسن، والمراقب لله في الحكم في عباد الله، صورة من إمام المتقين عليه السلام.

إنّه العبد الصالح المجاهد الذي سيظل رمزاً كبيراً على خطّ كفاح الأنبياء والأولياء والصالحين ضد الجبابرة في الأرض والطغاة المستكبرين.

والحمد لله حمداً لا يبلغ منتهاه، ولا يُستقصى مداه، وصلى الله على صفوة أنبيائه وخاتم رسله محمد المصطفى وعلى آله الميامين النجباء.

الفهرس

كلمة المجمع ٧
المدخل ٩
ما هي الثورة؟ ٩
تفاوت الثورات ١٤
١ ـ أصالة القضيَّة ١٥
٢ ـ عظمة المثال ١٦
٣ ـ تجاوز التوقعات ١٨
المحور الأوّل: القضيَّة ٢٥
١ ـ الإسلام ٢٦
٢ ـ الإنسان ٣٣
٣ ـ بين الإسلام والإنسان ٤٠
٤ ـ ما هو الطريق؟ ٤٦
المحور الثاني: القيادة ٥٥
١ ـ المبدئية القياسيّة الثابتة: ٥٧
أ ـ التحمل العلمي للمبدأ ٥٩
ب ـ الإندكاك في المبدأ ٦٠
ج ـ الذوبان حبّاً في المبدأ ٦٩
د ـ التحلي بأخلاقية المبدأ ٧٤
هـ ـ الشدة في ذات الله ٧٧

و ـ التسليم والرضا ٨١
٢ ـ الرؤية الموضوعية المتقدمة ٨٥
المحور الثالث: النخبة والأُمّة ٩١
١ ـ النخبة ٩٢
أ ـ قمة وعي وبصيرة وإيمان ٩٣
ب ـ أمانة قمة ورساليّة ٩٦
ج ـ الوعي الذروة ٩٧
د ـ القتال المبدئي ٩٨
٢ ـ الأُمّة ١٠٢
المحور الرابع: الظرف والأداة ١١٥
١ـ ظروف الثورة ١١٦
٢- أداة الثورة ١٢٣
المحور الخامس: النتائج ١٣١
١ ـ لا فصل بين الدين والسياسة ١٣٨
٢- خطّ حاكم واحد ١٣٩
٣ ـ بعث الخط الأصيل للولاية ١٤٢
٤- الثورة من داخل الأُمة ١٤٣
الفهرس ١٥٥